بسم الله الرحمن الرحيم

دراسة في شعر ابن الجنّان الأنصاري الأندلسي

الدكتور منجد مصطفى بهجت

كلية الآداب ـ جامعة الموصل

مقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد ،

فهذه دراسة ، هي أول دراسة مستفيضة ـ فيما نظن ـ عن شاعر كبير من شعراء عصر الموحدين ، ابن الجنّان الانصاري ، وماكان لها ان تكمل وتظهر بهذه الصورة ، إلا بعد أن وفقني الله لجمع وتحقيق أشعار الشاعر من المصادر المطبوعة والمخطوطة في ديوان يمثل للطبع . وكان أول عهدي بالشاعر عام ١٩٨٢ حيث كتبت بحثاً عن المديح النبوي في عصر الموحدين . . .

وكان على البحث أن يعرف بالشاعر وسيرته ويحقق تاريخ وفاته ، ثم يقف عند ديوانه ومصادر شعره على نحو من الايجاز ، ثم بشيء من التفصيل دار الحديث حول موضوعاته الشعرية التي جاءت في أربعة ، شعر الإلاهيات ، والنبويات ، وشعر الأخويات والمراجعات ، وشعر الرثاء ، وانتقلت بعدها الى دراسة السمات والخصائص الفنية لشعره بشيء من التفصيل، وقد حاولت في الدراسة أن أوجز كثيراً من التفصيلات للكتاب الذي نأمل أن يرى النور عن الشاعر بإذن الله . . والله نسأل أن يقبل عملنا ويجعله خالصاً لوجهه الكريم،

١ ـ حياته وسيرته :

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، المعروف بابن الجنان[١] ، وقد تلقب بهذا اللقب عدد من أعلام الأندلس[٢] . عاش في القرن السابع الهجري ، عصر الموحدين ، حيث شهد في حياته بالاندلس ، مجد الدولة الموحدية كما شهد انحسارها وضعفها .

لانعلم شيئاً عن ولادته وحياته الأولى ، ولكن نستطيع ان نقدر بأنه نشأ نشأة أبناء عصره ، وقرأ منذ عهد مبكر مايقرأونه ، وقدر له الاسترسال في هذا الاتجاه حتى بلغ مابلغه على نحو ما سيأتينا .

ونلمس تعلقه الشديد بأبيه ، وبرّه اياه ، حين يصور ذلك في اطول قصيدة له في الديوان ويحدثنا عن وفاته، التي كانت أيام سقوط مرسية سنة ٦٤٠هـ ، حيث اشتدت شوكة الأسبان ، وتسلطوا على الأندلسيين وأضطر هو الى الرحيل عنها الى أوريولة ، وترك أباه الذي تعلق بوطنه حتى أشتد مرضه بعد عام من رحيله ولم يمهله القدر بعدها[٣] :

أبى مصاب أبي مني السلوَّ ، فيا قلبي وجفني ، قفا نبكِ الحبيب قِفَا
هجَرتُ داري وأحبابي ومن شِيمي وصل المهاجر إما خانني وجفا

ويصور حيرة أبيه بين اجابة داعي حب الوطن ، والاستجابة لنداء القلب في حب الولد فيقول :[٤]

---

(١) تصحف لقب الشاعر عند عدد من المتأخرين الى ابن الجيان ، ينظر سعادة الدارين : ٥٤٠ ، ٦٦٣ ، ٦٦٧ .

(٢) منهم : ابو بكر احمد بن الجنان المرسي (الخريدة) ٢/٢٥٣ ، وابو بكر محمد بن عبد الغني بن الجنان الشاطبي (زاد المسافر ١١٥ جذوة الاقتباس ١/٢٦٦)، وابو عبد الله محمد بن احمد الجنان الغرناطي ولد قرب سنة ٩٥٦ هـ (درة الحجال ٢/٢٣٦) وآخرون .

(٣) ٢٧ ، ٢٤ ، ٥٢ ، ٥٥

(٤) ق ٢٧/٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ـ ١٥١ ، ١٥٥ ـ ١٦٥ .

مازِلْتُ أجذبه والدار تجذبه فآتياً سبقا نحوي ومنصرفا
فجاء أوريولةً يوماً كعادته يُطيعُ قلباً بحبي كان قد شُغفا

ولايهمله القدر اذ يتوفى بعد تسعة أيام فقط من قدومه :
اقام تسع ليال ماوجدت له فيها شفاء ولاصدر المشوق شفا

ومن ابيات القصيدة ذاتها نعلم أن له أخوين ، يخاطبهما ، ويطلب منهما أن يسعداه بالبكاء بعد فقدهم أباهم :
يا ابني أبي لاتكونا في مُصابكما كمثل مِن نكر الأخوانَ او نكفا
يا ابني أبي أسْعدا بالله صنوكما بعبرةٍ تفضحُ الهطالة الوكفا

ولاينسى أياديَه البيض عليهم ، وشدّة عكوفه عليه ، وعلى أخوته :
غذّى وربّى وأولى كُلَّ عارِفَةٍ وبالحنانِ لنا في ظلّه كنفا
مسّهدَ الجفنِ لاترمش مدامعه كأنّما طَرْفُه من دوننا طَرِفا

ويشير الى تعليمه دروس القرآن الكريم ، ودروس الحياة الأولى في قوله :
أيّامَ علّمني التنزيلَ يمنحني منه الهدى وعلى أخذى له اللّطفا
قد كانَ عِلّة كوني ثم رشّحني الى الحياة التي أرجو بها الزّلفا

ومضت بمحمد الأيام ، فأصبح من علماء عصره المشهورين ، من أهل الرواية والدراية ، محدثاً ، كاتباً ، بليغاً ، شاعراً ، بارعاً ، وصف بجودة الخط ، وحسن الضبط ، والحفظ والاتفاق(٥) .

(٥) عنوان الدراية ٣٤٩ ، الاحاطة ٣٤٨/٢ ، النفح ٤١٦/٧

تحدثت المصادر عن خلقه وفضله ، وذكائه ، إذ كان لطيف الشمائل وقوراً ، اما عن صفاته الخَلْقِيّة ، فقد ورد أنه كان مفرطاً في القماءة ، حتى يظن رائيه اذا استدبره انه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها[٦] ، ولله درّه اذ استبدله الله محاسن الخُلق بقماءة خَلقه . . فقد كان ذكره عطراً في حياته وبعد مماته . . وله في عطاء بن أبي رباح[٧] (ت١١٥هـ) إمام أهل مكة وعالمها أُسوة حسنة .

أوسع من تحدث عن شاعرنا ، ابن عبد الملك المراكشي المتوفى سنة ٧٠٣هـ في كتابه الذيل والتكملة ، الا أن الجزء الذي ترجم له فيه لايزال مفقوداً[٨] ، وقد نقل عنه عدد من العلماء ، روى ابن الخطيب أنّه : خرج من بلده ، حين تمكن العدو من بيضته عام أربعين وستمائة ، واستقر بأوريوله[٩] الى أن استدعاه الى سبتة الرئيس أبو علي بن خلاص[١٠] . فوفد عليه وحظي عنده حظوة تامة ثم توجه الى افريقية (تونس) فاستقر ببجاية .

روى عن علماء عصره أمثال : ابي الربيع بن سالم ، وأبي الحسن بن سهل بن مالك ، وأبي علي الشلوبين . ومن روى عنه قليل ، منهم : صهره ابو القاسم بن نبيل ، ابو الحسن محمد بن زريق[١١] .

---

(٦) الاحاطة ٢/٣٤٩.

(٧) روى ابن خلكان في وفياته ٣/٢٦٢ أنه «كان أسود ، أعور ، أفطس ، أشلّ ، أعرج ثم عمي ، مفلفل الشعر».

(٨) النفح ٧/٤١٥.

(٩) اوريولة : مدينة في بلاد شرق الأندلس ، تقع على نهر شقورة شمال شرقي مرسية ، وقد لعبت في تاريخ شرق الأندلس دوراً مهما ، فسقطت في أيدي الارجونيين سنة ٦٦١هـ ، الاحاطة ٢/٣٤٩ هامش٣.

(١٠) تولى ابن خلاص سبتة سنة ٦٣٧هـ ، وتوفى سنة ٦٤٦هـ ، تنظر ترجمته في البيان المغرب ٣/٣٥٩ (ط تطوان) ، النفح ٧/٣٦٥ هامش (٢).

(١١) الاحاطة ٢/٣٤٩.

لقد أحرز ابن الجنان مكانة وشهرة في عصره ، كان من ذوي المواهب المزدوجة شاعراً وناثراً وجرت بينه وبين علماء وأدباء عصره مخاطبات ومكاتبات ، ظهرت فيها براعته ، وقد تناقلت اخبارها ونصوصها المصادر ، ومنهم : ابو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني[١٢] ، وابو المطرف بن عميرة المخزومي[١٣] ، وابن المرابط[١٤] ، وغيرهم .

ويحفل كتابا ابن عبد الملك المراكشي ، وابن المرابط[١٥] ، بمعلومات ضافية في هذا المجال ، تدلنا على مدى تفاعله مع أحداث عصره ، وصلته المتينة بأبنائه ، فعلى الرغم من ميله الشديد للزهد في الحياة ، وعدم انحيازه لأمراء عصره ، فانه لم يكن ذاهلاً عن مجتمعه ، نائياً عنه بل كانت له مشاركات[١٦] ، فقد انتعش موضوع المراجعات والمراسلات الأدبية ، شعراً ونثراً ، كذلك ازدهرت المجالس الأدبية ، على نحو ما سيأتينا في أشعاره ، التي عارض بها رائية علي بن الجهم[١٧] ، وشينية المتنبي[١٨] والابيات التي بارى فيها جلساءه في وصف الطاووس[١٩] .

---

(١٢) تنظر ترجمته في الذيل والتكملة ٥/١/٣٢٣ ـ ٣٦٦ ، مقدمة الاستاذ ابراهيم شبوح لبرنامج شيوخ الرعيني . .

(١٣) ينظر في ترجمته كتاب الدكتور محمد بن شريفة ، ابو المطرف بن عميرة المخزومي ، حياته وآثاره (ط جامعة محمد الخامس ١٩٦٦م).

(١٤) عرف بهذا اللقب عالمان ، أحدهما : ابو العلاء محمد بن علي بن ظافر ، تنظر ترجمته في هامش ق٢ ، وهو مؤلف كتاب زواهر الفكر ، وجواهر الفقر ، مخطوط في الاختبارات الشعرية ، والآخر : ابن عم ابي العلاء المذكور آنفاً ، ومعلوماتنا عنه من خلال كتاب زواهر الفكر ، قاض وعالم جليل له شعر ونثر كثير في الكتاب وله صلة متينة ومراسلات مع شاعرنا ابن الجنان.

(١٥) الذيل والتكملة ٤/١٠٨ ـ ٥/١/٣٢٧ ، ٣٣٤ ، زواهر الفكر في مواضع كثيرة متفرقة منها : ورقة ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٧١ .

(١٦) زواهر الفكر ورقة ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٢

(١٧) ديوانه ق١٦

(١٨) ديوانه ق١٨

(١٩) ديوانه ق١٤ .

اثنى المؤرخون عليه ، فقال الغبريني (ت٧١٤هـ) عن مراسلاته مع أبي المطرف بن عميرة والحركة الأدبية التي صحبت تلك المراسلات : «وكثيراً ماكانا يتراسلان بما يعجز عنه الكثير من الفصحاء ولايصل اليه الا القليل من البلغاء ، ونثره ونظمه كله حسن ، ونثره غزير وأدبه كثير[٢٠].

وصفه ابن الخطيب (٧٧٦هـ) فقال : «ومحاسنه عديدة ، وآماده بعيدة . .»[٢١] ، وقال عنه في موضع آخر : وكتابته شهيرة ، تضرب بذكره فيها الأمثال ، وتطوى عليه الخناصر»[٢٢] .

اما المقري ، فقد أعرب عن اكباره له ، وأشار الى سعة أخباره ، وجودة أدبه فقال : «وترجمة ابن الجنان واسعة جداً ، وكلامه في النَّبويات نظماً ونثراً جليل رحمه الله»[٢٣] ، وقال في موضع مثنياً عليه ، وكم لهذا الكاتب من محاسن ، ماؤها غير آسن»[٢٤] وبلغ الاعجاب بشعره ، أن المقري كان كثيراً ما ينشد مخمسته الميمية في مجالس التدريس[٢٥] ، وساق لنا عدداً من معارضات مخمسته في كتابه[٢٦] .

٢ ـ وفاته :

انفرد ابن الخطيب بذكر وفاته فقال : قال الاستاذ في الصلة : «انتقل الى بجاية ، فتوفي فيها في عشر الخمسين وستمائة»[٢٧] . وقد وهم محقق عنوان الدراية ، حين نسب الى ابن الخطيب أن خروجه من بلده كان في أربع

---

(٢٠) عنوان الدارية ٣٤٩.
(٢١) الاحاطة ٢/٣٥٩.
(٢٢) الاحاطة ٢/٣٥٢
(٢٣) النفخ ٧/٤٣١
(٢٤) النفح ٧/٤١٥.
(٢٥) نفسه ٧/٤٣٨ ،
(٢٦) نفسه ٧/٤٤٥ ـ ٤٧٠ ،
(٢٧) الاحاطة ٢/٣٥٩

وستمائة ، معتمداً في ذلك على الحلل السندسية[٢٨] الذي سقطت فيه لفظة الخمسين المضافة الى لفظة «عشر» ، حيث يقع التحريف في تاريخ الوفاة .

ومما يصحح هذا التحريف أن سقوط مرسية بأيدي الاسبان كان سنة ٦٤١هـ[٢٩] ، وليس سنة ٦٠٤هـ ، كما تصحف التاريخ عنده ، فقد كان يحكمها ذو الوزارتين أبو على بن خلاص صاحب سبتة سنة ٦٣٧هـ ، وقد أعلن بيعته للأمير ابي ذكريا يحيى الحفصي سنة ٦٤٣هـ[٣٠] ، وتوفي سنة ٦٤٦هـ .

كذلك يصححه اقتران قصائد ورسائل لابن الجنان في كتاب «زواهر الفكر» بتواريخ تدلنا على انه كان حياً حتى سنة ٦٤٣هـ ، فقد جاءت خطبة له مؤرخةً في ٢٧ رمضان سنة ٦٤٢هـ[٣١] ، وذكر ابن المرابط أنه أنشأ خطبته النكاحية بمرسية في غُرّة جمادى الأولى سنة ٦٤٣هـ[٣٢] ، ونُرجح أن ابن الجنان توفي قبل أن ينتهي ابن المرابط من تأليف كتابه سنة ٦٤٨هـ ، وذلك لأنّه استخدم عبارات الترحم على الشاعر مقرونة به ، ومن هنا يمكن أن نقرر أن وفاته كانت بين سنتي ٦٤٦ و٦٤٨هـ . اذا قدرنا انه ترك سبتة الى بجّاية بعد وفاة ابي على بن خلاص سنة ٦٤٦هـ وكان قد حظي ابن الجنان عنده ، وهو ماينسجم مع رواية ابن الخطيب عن وفاته.

٣ ـ ديوانه ومصادر شعره :

لم يكن أبو عبد الله بن الجنان بدعاً في الشعراء الذين لم تدون أشعارهم في حياتهم او بعد مماتهم . واذا كان فقدان دواوين الشعراء

---

(٢٨) عنوان الدارية ٣٤٩ هامش ١ ، الحلل السندسية ٥١١/٣

(٢٩) الآثار الأندلسية الباقية ٩٩

(٣٠) عصر المرابطين ٤٧١/٢ ، ٥١٢ .

(٣١) زواهر الفكر ورقة ١٣٤

(٣٢) نفسه ١٥٦ ،

المغمورين أمراً مألوفاً ، فانه ليس ببعيد عن عدد من كبار الشعراء ، ومن هؤلاء ابن شهيد الأندلسي[٣٣] ، إذ لم ترد الاشارة الى جمع شعره في ديوان ، في كتب القدماء، على الرغم من غزارة نتاجه ، وشهادة النقاد له بالباع الطويل ، والحذق والبراعة .

لقد أوشكت أشعار ابن الجنان أن تذهب بذهاب مصادرها ، لا سيما المخطوطة منها وذلك لأن ما وصل الينا من أشعاره جاء برواية واحدة ، في مصدر واحد ، وقد تعرض غير قليل منها للتحريف والتصحيف بسبب جهل النساخ ، ومن نقل عنهم .

لايمثل ما استطعنا الوقوف عليه من أشعار الشاعر جميع أشعاره ، فقد جاءت نصوصه الشعرية في الديوان الذي صنعته في أربع وخمسين نصاً ، اجتمع فيها زهاء الف وثلاثمائة بيت ، إذ لدينا اشارات الى اشعار للشاعر مفقودة ، فالجزء الذي ترجم فيه ابن عبد الملك المراكشي للشاعر ، لما يزل مفقوداً . . وقد نقل عنه ابن الخطيب في الاحاطة ، كما نقل المقري عنه في نفح الطيب ، ويشير ابن المرابط في القسم الثالث من كتابه ، زواهر الفكر ، الى أن الشاعر قدم ابياتاً للقسم الثاني منه ، ولم نقف عليها ، لأن هذا القسم مايزال مفقوداً .

على الرغم من عدم وصول ديوان مدون للشاعر ، او مجموع شعرى له ، فإن أشعاره لم تضطرب نسبتها اليه فتنصرف الى غيره . . باستثناء قصيدة لامية في عشرة أبيات مطلعها :

لـولا الـنـبـي محـمـد هلك الورى من سوء حاله

(٣٣) ابن شهيد الاندلسي ، حياته وأدبه ٥٦ ـ ٥٧ .

حيث وهم يوسف النبهاني[٣٤] المتوفى سنة ١٣٥٠هـ ، فنسبها الى الشاعر معتمداً على نفح الطيب ولدى مراجعتنا القصيدة في النفح وجدناها فيه بغير عزو .

تتوزع اشعار الشاعر ، كما هو واضح ، على ستة مصادر في مقدمتها مخطوط «زواهر الفكر وجواهر الفقر» ، وهو نسخة فريدة في مكتبة الاوسكريال ، لابي العلاء محمد بن علي بن ظافر المرادي المشتهر بابن المرابط[٣٥] (ت٦٦٣هـ)، وهو أكبر مجموع شعري للشاعر، ويعد الكتاب، من أوثق المصادر في رواية اشعاره ، لأن المؤلف كان ينقل عن الشاعر مباشرة ، ومشافهة ، كما انه يؤرخ القصائد ، ويذكر مناسبتها ، والنسخة المخطوطة حزائنية نفيسة ، منقولة عن نسخة المؤلف التي كتبها بخط يده ، انتهى من نسخها في حياة ابن الجنان سنة ٦٤٨هـ .

انفرد ابن المرابط برواية اثنين وثلاثين نصاً في ٨٤٤ بيتاً ، وهو يؤلف حوالى ٦٥٪ من اشعار الشاعر .

اما المصدر الثاني لاشعار الشاعر ، فهو مجموع شعري مجهول العنوان، والمؤلف انفرد برواية قصيدة واحدة للشاعر سماها ، القصيدة المباركة الشريفة في مائة واربعين بيتاً .

والمصدر الثالث لاشعاره ، هو نفح الطيب للمقري التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) ، وانفرد برواية خمسة عشر نصاً في مائة وواحد وعشرين بيتاً ، والمصادر الثلاثة المتقدمة آنفاً ، يؤلف ما ورد فيها نسبة ٨٥٪ من مجموع شعره .

---

(٣٤) سعادة الدارين ٥٤٠ ،

(٣٥) تنظر ترجمته في هامش القصيدة (٢) من الديوان .

اما بقية أشعاره فتنوزع على ثلاثة مصادر هي : الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي ، وعنوان الدراية للغبريني (ت٧١٤هـ) ، والاحاطة لابن الخطيب (ت٧٧٦هـ) أوردت هذه المصادر تسعة نصوص في مائة وأربعة أبيات .

نال شاعر الحيف والاهمال من الدراسين المحدثين[٣٦]، إذ لم تتلبث كتبهم عنده ، باستثناء كتابين هما ، سعادة الدارين ليوسف النبهاني ، إذ ساق له اربع قصائد في ثلاثة وسبعين بيتاً ، والحلل السندسية لشكيب ارسلان (ت٧٦٦هـ)، إذ ساق له قصيدة واحدة في خمسة وثلاثين بيتاً .

من هنا نستطيع أن نقرر بأن أشعار الشاعر لم يكتب لها الذيوع والانتشار ، وظل تداولها محدوداً لدى طبقة من الادباء ، كذلك لم تتكرر روايتها ، باستثناء النسبة الضئيلة من اشعاره.

٤ . موضوعاته الشعرية :

يوشك أن يكون أبو عبد الله ، قد نظم في موضوعات الشعر العربي المعروفة ، جُلّها ، باستثناء الموضوعات التي باينت سلوكه الديني ، وسيرته القويمة ، اللذين نشأ عليهما ، وعُرف بهما ، اذ انعكست مبادئه على أشعاره ، فعزف عن النظم في هجر القول وباطله ، وضرب صفحاً عن موضوعات الشعر المنحرفة عن جادّة الصواب . . كالغزل الماجن

(٣٦) وقفت الدراسات الحديثة وقفة عابرة عند أشعار ابن الجنان ، ومنها كتاب الدكتور محمد مجيد العيد الشعر في عهد المرابطين والموجودين ، تحدث في فصل طويل عن الشعر الديني ص٢٥٦ - ٢٨٩ واكتفى بالاشارة الى مخمسة الشاعر الميمية ص٢٧١ ، كذلك اكتفى الدكتور حكمة الأوسي في كتابه الادب الاندلسي في عهد الموحدين ص٢٣٦ بالاشارة الى ان للشاعر قصائد في مدح النبي مفعمة شوقا وصدق عاطفة.

والهجاء . . والدراسة المتأنية تكشف لنا عن شاعر غزير النتاج ، واذا كانت موضوعات الشعر تتشابك في القصيدة الواحدة ، فاننا نستطيع أن نشير الى أبرز موضوعاته الشعرية حسب أهميتها .

أ ـ شعر الإلاهيات :

تتصدر الالاهيات[٣٧] والنبويات[٣٨] قصائد ديوان ابن الجنان ، وقد احتجن الديوان أربعاً وعشرين قصيدة تؤلف نسبة ٤٤٪ من محتويات الديوان ، اي أقل بقليل من نصف الديوان ، والموضوعان يأتيان متلازمين تلازماً قوياً ومتيناً ، ومقترنين أحدهما بالآخر اقترانَ ذِكْرِهِ عليه الصلاة والسلام بذكرِ الله تعالى في الأذان ، فلا يذكر الله الا ويذكر معه ، وذلك أمرٌ مألوف في قصائده ، ما دام حلقة تامة ، فان الركن الاول من شهادة المسلم هو توحيد الله ، والركن الثاني هو الاقرار برسالته عليه الصلاة والسلام ، فمن ذلك قصيدته التي يتشوق فيها للحج الى بيت الله الحرام وهي في ثلاثين بيتاً ، وفي أبياتها يصور كرب التائبين وحزنهم الشديدين فيقول :[٣٩]

لـه الله من ذي كـربـةٍ ليس يـرتجى
لمـــرتحـل يـومـاً ســوى الله فـارجـا
يخـــوض بحـارَ الـذنب ليس يهـابهـا
ويصعق ذعـراً أن يرى البحر هائجـاً
يتيـــه ضـــلالاً في غيـــابـــة هَمِّـــه
فـلا حِجْـرَ يهـديـه لـــرشـدٍ ولا حِجـا

(٣٧) تنظر قصائده : «١ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٥٢»
(٣٨) تنظر قصائده : «٢ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٥٠»
(٣٩) ق ٦/٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ .

ويرجو الشفاعة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خاتماً قصيدته بذكره عليه الصلاة والسلام :

لعـــل شفيعي أن يكـــون معـــاجـلاً
لـــداءِ ذنـــوب بـــالشّفـــاء مُعـــالجـا
فـــما لي لآمـــالي ســـوى حب أحمـــدٍ
وصلت لـه من قـرب قلبي وشـائجـا

وبيت الله مما يهيج لواعج الشوق ، ونيران الصبابة ، اذ يرى دواعي الحج واسبابه بصدور الركب أو وروده[٤٠] :

يا حاوي الركب ، قِفْ بالله يـا حاوي
وارحم صَبـابـةً ذي نـأي وابعَـادِ
مـــا ينبغي عنك إلا أن تُصيـخ لـه
سمعـــاً ليسأل عمّن حَـلَّ بـالـوادي

وتعود القصيدة عنده ضرباً من المواجد والاشواق المستعرة .

بـــين الجـوانـح نـار للجـوَى وقـدتْ
فـــان قـــدرت فـاخمـدْ بعض اخمـادِ
هيهـــات تســـطيع اخمـاداً وذكـرهم
يـــزيـــدُ نـــارَ ضلوعي نـــار ايقـــادِ
وجدى بهم وجد ذات الضِمء جِيلَ بها
عن وِردِهـــا صـــرفَ رُوّاد ووراد

واذا كانت العوائق قد حالت بينه وبين زيارة بيت الله الحرام ، فإنه لا يعدم ابلاغ السلام ، وهو الغريب الذي ناء به الغرب :

---

(٤٠) ١/١٣ ، ٢ ، ٩- ١١ ، ٢٨ ، ٢٩.

واقرأ سلامي على تلك الخيام كما
يرضى الوفاءُ بتكرير وترداد
وقلْ غريبكم في الغَربِ ناءَ به
يا حاويَ الرّكب قفْ بالله يا حادي

وثالثة الاثافي قصيدته الضادية التي نظمها في وداع شهر رمضان المبارك وحزنه لمفارقة الشهر الكريم ، وتأتي قصيدته في عشرين بيتاً[41] :

مضى رمضان وكأن بك قد مضى
وغاب سناه بعدما كان أومضا
ففي بينه بينٌ شجونَك مُعلماً
وفي إثره أرسلْ جفونك فُيَّضا

وبعد أن يحدثنا عن مقام رمضان في نفوس المسلمين وايادِيه البيضاء عليهم ، وفضائله السابغة ، وجلال ليلة القدر بين لياليه ينتقل الى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول :

جزاهُ اللهُ العرش خَيرَ جزائه
وأكرمنا بالعفو منه وبالرِّضا
وصلّى عليه من نَبي مُبارك
رؤوفٍ رَحيم للرّسالة مُرتَضى

ومن قصائده الخالصة النزعة هائيته ، وهي مما نظمه على سبيل الارتجال ، فقد حضر ابو العلاء بن المرابط عنده يوماً فسأله ان يكتب له شيئاً ، فكتب ابو العلاء لفظ الجلالة «الله» وسأله أن يجعلها أول ما يفتتح قوله ، فكانت قصيدته في واحد وعشرين بيتاً ، أول البيت لفظ الجلالة

---

(٤١) ١/١٩ ، ٩ ، ١٦ ، ١٧

«الله» وآخره كذلك ، وهي في مجملها تعداد لآلاء الله ونعمه علينا ، وضرورة الرجوع اليه دائماً ومنها[٤٢] :

لله فضل في الوجود أفاضه كم نعمة وتفضّل لله
لله ما أوفى وأوفر منّةً في كل شيء منةً لله
لله فينا رحمةٌ مبثوثةٌ تحيى بها ، وبرأفةٍ لله

وفي قصائده في هذا الاتجاه ، داليّته وهي في عشرة أبيات ومطلعها :[٤٣]

سأصبر حتى ينجز الله وعدهُ ولا بد للرحمن أن ينجز الوعدا

وهو وان استهلها بذكر الصبر والدعاء ، وعاد لذكره ثانية في البيت السادس ، فإنها تدخل في باب الإلاهيات ، إذ إن الشاعر يدعو الله سبحانه ، ويذكره ويحمده ، ويرجوه أن يفرج أزمةً حلّت به ، وقد تكون ازمته ازمة المسلمين في عصره ، مما يمنح القصيدة بعداً انسانياً ، وكعادته في ذكر الله ، انه يشفعه بذكر نبيّه ، ويطلب منه الشفاعة ، ويختمها باستخارة الله سبحانه ، دون أن يسمّي موضوعه الذي يستخير الله تعالى فيه فيقول :

وما زال لطف الله يفرِجُ أزْمة
اذا استُصعبَتْ عَقداً او استحكمتْ شدَّا
فيا من له الالطافُ تأتي خفيّة
تَدارِكْ برَحماها ومِنّتِها العبدا

---

(٤٢) ٤/٥٢ ، ٦ ، ٧ ، ٢٠ ، ٢١
(٤٣) ١/٨ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٩

ومـــالي مقـــالٌ غـــيرُ حمـــدٍ مـــرددٍ
على كلِّ حالٍ فاقبلِ الشكرَ والحمـــدا
فشَفِّعـــهُ يـا مـولاي واخصص جنابـه
بـأذكى سـلام ينضـــح المسـكَ والنَّـــدا

وبالاتجاه ذاته تمضي قصيدته الميمية ، وفيها لزوم ما لا يلزم ، وهي في ثلاثة عشر بيتاً يبدؤها بذكر اليأس الذي داهمه ، ثم قتله الشاعر بعزيمته القعساء ، وحلّى نفسه بالصبر الجميل وتزيى بلباس التقوى ، وتسربل بالتسليم والرضا التام والرّجاء الصادق ، فهذه سبيل السعادة[٤٤] :

اذا مـا عـلا يـأس يغـالب لي الـرّجـا
ويحجب من ريّـــا الـرضـــا مـا تـأرّجـا

وفيها يخاطب نفسه فيقول :

وميـــلي الى الصّـبر الجميـل ، فـإنـه
لينصرُ من للصـــبر ، مـــال وعـــرّجـا
وديني بتقـــوى الله ، يجعـــلْ بلطفـــهِ
لـكِ اللهُ من كـل المضـــايق مخـرجـا
فهـــذي سبيـلٌ إن هُـديتُ لقَصـدِهـا
وجـدت الى فـرْقى السعـــادة معـرجـا

ويتجلى هذا التسليم والاذعان في أجلى صورة في الابيات الثلاثة التي قالها في مرض موته[٤٥] :

جهـــل الـــطبيب شكـــايتي وشكـــايتي
أن الـطبيب هـو الـذي هـو ممـــرضي

---

(٤٤) ١/٧ ، ٤ ، ٥ ، ٧
(٤٥) ١/٢٠ - ٣

فـــإن ارتضى بُـــرئيء تـــداركَ فضله
وإن ارتضى سقمي رَضيتُ بمـــا رَضي
مـــالي اعـتراض في الـذي يقضي بـه
لكن لـــــرحمتـــهِ جعلت تعـــرضي

ولا يفتأ الشاعر يمزج في قصائده ، بين دعاء الله سبحانه والتضرع له ، والتوجّه الى الرسول عليه الصلاة والسلام ، بطلب الشّفاعة ، وهذا ما تعرب عنه ميميته التي جاءت في خمسة ابيات[٤٦] :

يـــا أرحم الخلقِ يـــوم الحشر والنَّـــدم
ارحم عبيـــدكَ يـــا ذا الـــطول والنِّعم
إني تـــوسلت بـــالمختـــار ملجؤنـــا
الـــطاهـــر المجتبى من خـــيرة الامم
فهـــو الشفيع الـذي أرجـو النجـاة بـه
من الجحيم اذ الكفّـــار كـــالحمم

كذلك يستهل تائيته ، التي اختصها بمدح الرسول (عليه الصلاة والسلام) ، وهي في اثني عشر بيتاً ، يستهلها بذكر الله تعالى وتنزيهه عن أن يحيط به وصف ، الصفات في ثلاثة أبيات فيقول[٤٧] :

يـــا من تقـــدّس عن أن يحيط وصف بـــذاتـــه
ومن تعـــالى جـــلالا عن مشبـــه في صفـــاتـــه

---

(٤٦) ١/٤٠ ، ٢ ، ٥
(٤٧) ١/٥ ، ٢ ، ٩ ، ١٠

وسرعان ما ينتقل الى مديح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، الذي نور الهدى من سماته ، تسمو به درجاته الرفيعة ، ويكرر اسمه في ثلاثة ابيات ، هو فيها خير هاد ، وخير داعٍ ، وخير مبدٍ ، ويستخدم اسلوب التعجب في اظهار مكارمه السامية :

أكـــرمْ بـــه من نبي همت ســـما مكـــرمـــاتـــه
أكـــرمْ بـــه من رســـول سمت عـــلا درجـــاتـــه

ومن شروط الايمان ، التوكل على الله والتسليم له ، وتفويض الامر اليه ، والايمان بأن كل ما يسوقه هو للخير ، وفي هذا الاتجاه يقول[٤٨] :

علّق رجـــاءك بـــالإلـــه فـــانـــه
مـــا خـــاب في فضـــل الالـــه رجـــاء
والجـــأ اليـــه إذا عـــرتـــك ملمـــة
يعصمـــك ايـــواء لـــه ولجـــاء
واعلم بـــأن الخـــير في يـــده فـــما
شـــاء الكـــريم بـــه اليـــك يجـــاء

ويلاحظ أن شخصية المؤمن بالله تبقى مهيمنة عليه في جميع أحواله ، واذا ما حلَّ به عارض أو نزل به أمر ، فانه يعزوه الى الله سبحانه ، وحين يقف الشعراء وينظرون الى النواحي الجمالية من الكون ، فإن ابا عبد الله ينظر فيها على أنها مما يعزز الايمان ويقويه لان ذكر الله كان هاجسه ، وتسبيحه ، وتنزيهه سبحانه كان ديدنه ، فاذا انحبس المطر ، واشتدت حاجة

---

(٤٨) ١/١-٣

الناس اليه ، وارتفعت أكفّ الضراعة ثم نزل ، فيسأله ابو العلاء بن المرابط ، أن يقول شيئاً في ذلك ، فيقول[٤٩] :

الغَيبُ في الغَيب لا يَدري به أحـدٌ
إلا الإلـه الـذي يُمنى بـه السُّحبا
لِـوجهِهِ الحمـدُ لا نُحصي الثناء لـه
ولا نَـطيقُ لـه شُكـراً كـما وَجَبا

ويطول بنا المقام لو مضينا نتتبع إلاهياته جميعاً ، إذ أن الشاعر لم يغادرها ، او يبتعد عنها الا لماماً ذلك لأن الله كان حاضراً معه في ضميره ، حتى انه كلف أن يعارض رائية علي بن الجهم في الغزل ، فعارضها ، واثبت لحبيبه من الصفات ، ما يفوق ما أثبته ابن الجهم ، فتفوق عليه :[٥٠]

فهمت بمحبـوب فَهمتُ كـمالـه
فلم يلتفت الا لحَضرَتـه سِرِّي
حبيبٌ تعـالى أن يحيط بـوصفـه
مقـالي ، وأن يُحصي محامِـدَه شكـري

وتشوب القصيدة نزعة صوفية ، حيث يحدثنا عن كلفه وهيامه بالذات الالهية فيقول :

فكـل حجاب فهـو عنـدي وعنـده
تَجـلٍ ، اذا أجلو : بأذكـاره فكـري
لـه الكلّ منّي بل هو الكلّ وحـده
فمن أنا ؟ لا أدري ، حَسرى ولا أدري
فنيت بـه لمّـا سَكِـرت بحبّـه
فمحـوىَ إثباتي ، وصَحـويَ في سكري

(٤٩) ١/٤ ، ٣ ، ٤

(٥٠) ٧/١٦ ، ٨ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠

سقـــاني بـــأكـــواس المحبـــةِ صِرفهـــا
فيـــا حبّـــذا خمـــرُ المحبـــةِ من خمـــري

كذلك نجده يهتبل مناسبات كثيرة في تأكيد قضيته التي هي توحيد الله ، وتعظيم مقام رسوله في النفوس ، وهو أمرٌ جليٌ في قصائده[٥١] .

ب ـ شعر النبويات :

أشرتُ آنفاً الى تلازم شعر الالاهيات بشعر النبويات ، فالشاعر حيثما ذكر الله يذكر رسوله الكريم خاتماً به قصيدته ، مصليا ومسلماً ، فقصيدته الجيمية التي تقدمت يختمها بقوله :[٥٢]

عليـــه ســـلام الله من ذي صبـــابـــةٍ
حليف شجـــا يكنى من البعد نـــاشجـــا

وآخر عينيته :[٥٣]

وأهـــــدى الى مثـــــواه منّي تحيـــــةً
اذا قصـــدت بـــاب الـــرِّضـــا لم تـــدفـــعِ

وآخر قصيدته الضادية التي تقدمت :[٥٤]

وصلى عليه الله مـــا أسماه في شرف ومـــا أولاه بـــالأســـماء

وآخر قصيدته العينية كذلك :[٥٥]

وعليـــك الصلاة بـــدءاً وَعَـــوْداً ما أضاءت ذكاءُ عند الـــطلوع

---

(٥١) ينظر فضلا عما تقدم القصائد «٢ ، ٢٩»
(٥٢) ٢٩/٦
(٥٣) ٤/٢٤
(٥٤) ١٧/١٩
(٥٥) ١١/٢

وآخر قافيّته :[٥٦]

وصـــلِ الصـــلاة عليـــه فهي وسيلةٌ
بصـــلاتهـــا دوح السعـــادة يـــورق

لكن الشاعر فضلاً عن ذلك أفرد قصائد خاصة في النبويات ، والسمة الغالبة عليها مديح الرسول عليه الصلاة والسلام ، فالشاعر هائم بحب النبي ، وهو يتفنن في عرض زوايا حبّه إياه بأفانين الاساليب وأنماطها . . فهو في ميدانه بارعٌ سَاطع ، وسهمه في مضماره مُفَوَّق محلَّق ، كيف لا ، وآماله كلها تتجسد في حبّ النبي الكريم ، حتى انه يرجو أجفانه النُّصفة ، فتسفك دماءً لا دموعاً :[٥٧]

فـــما لي لآمـــالي ســـوى حب أحمـــد
وصلت لـه من قـرب قلبي وشـائجـا
ولـــو انصفت اجفـــانـــه حقّ وجـــده
سفكتُ دمـــاءً للدمـــوع مـــوازجـــا

ولذلك نجد الرسول (عليه الصلاة والسلام) في ضميره ، يعيش معه في حلّه وترحاله ، ولا تكاد صورته تغادره ساعة من نهار ، فهو يرجو بجاهه أن ينال الخطوة عند الله وغفران الذنوب وهو الصادق في حبه إيّاه في مقطعه من سبعة أبيات منها :[٥٨]

أيـــذهبُ يـــوم لم اكفّـــر ذنـــوبـــه
بـــذكـر شفيـــعٍ في الـذنـــوبِ مُشفَّـعِ
ولم أقضِ في حَقِّ الصـــلاة فـريضـــةً
عـلى ذِي مقـام في الحسـاب مـرفّـــعِ

---

(٥٦) ٧/٢٦
(٥٧) ٧/٢٩
(٥٨) ٢٨/٦ ، ٣٠

أرجّى لديه النفعَ في صِدق حُبِّه
ومن يَرْتَج المختار لاشك ينفَعِ

وتتكرر هذه النبرة عند الشاعر في عينية أخرى من سبعة أبيات كذلك :[٥٩]

بحبيب القلوب معتمد الخلـ
ـقِ أبي القاسم النبي الشَّفيعِ
قد تشفعت من ذنوبي الى ذي الـ
ـعزَةِ الواحدِ العُليِّ السميع
لظلومٍ لنفسه قد تَنَاهى
في الخطايا وكلِّ فعلٍ شَنيعِ

ويشفع ابن الجنان الرسول (عليه السلام) ، ليكفر خطاياه ، وذنوبه ، ويرجو النجاه بحبه ، الذي يتوجه به لله سبحانه[٦٠] :

واستوهب الرحمن صادق حُبِّه فبحبه فازَ الهُداةُ السُّبّق

والرسول الكريم هو فتّاح ابواب الخير ، به يدرك اليمن وتنال المكانة ، وتدرك الغايات السامية ولذلك حين ينوي ابن المرابط تأليف كتابه «زواهر الفكر ، وجواهر الفقر» يسأل ابا عبد الله أن ينظم ابياتاً يجعلها أول كتابه فيرتجل ابياتاً منها[٦١] :

ابدأ مقالك بالثناءِ على النبي
جلّت محامدُه عن الإحصاءِ

---

(٥٩) ١/٢٤ ـ ٣

(٦٠) ٥/٢٩ ، كذلك ٨/٨ ، ٩

(٦١) ١/٢ ، ٥ ، ٧ واقتران ذكر الرسول (ص) بالشفاعة والوسيلة كثير من ذلك ٢٦/٦ ، ٨/٨ ١/٢٢ ، ٢٢/٣٧ ، ٥/٤٠ ، ١/٤١ ، ٢/٥٠

واجعـــلْ وسيلتـــك التي تـــرجـــو بهـــا
منـــه التجـــاوزَ ، صـــاحبَ الإسراء
ختـــام ديـــوان الـــرســـالـــة والهـــدى
فتـــاح بـــاب شفـــاعـــة الشفعـــاء

وكذلك هو مسك ختام الامور ، وخاتم مسكها ، ولذلك يسأل ابن المرابط شاعرنا ابياتاً يختم بها كتابه المتقدم آنفاً ، لكي يكون في ذكره (عليه الصلاة والسلام) مِيسماً ، وخاتماً[٦٢] :

اختم بـــذكـــر محمـــدٍ فبـــذكـــره
يـــزكـــو شـــذا مســـك الختـــام ويَعبِقُ
وانـــظم قـــلائـــد مـــدحـــه فنـــظامهـــا
دُرٌ عـــلى جيـــدِ المحـــامـــد يُنسَق
وارقم صحـــائفك الحســـان بـــوصفـــه
فبـــه تـــروق النـــاظـــرين وتـــونق

وتتجلى في مدائحه للرسول (عليه الصلاة والسلام) ، نبرة تتكرر في اكثر من قصيدة ، حيث يبذل جهده ، ويقف طاقته على سياق صفات الرسول الكريم ، وخلاله ، فهو إمام جماعة المسلمين ، وأبهر الخلق ، وصفاته أعجزت أهل البراعة أن يصفوها ويدركوا أنحاءها[٦٣] :

بخـــاتم الـــرســـل ، أعني إمـــام تلك الجـــمـاعـــة
لأبهـــر الخلق مجـــداً يحكى الصَّبـــاح نَصَـــاعـــه
لمن صفـــات عـــلاه تُعجـــزُ أهـــلَ الـــبَراعـــه

---

(٦٢) ١/٢٩ ، ٥ ، ٦ ، ٨
(٦٣) ٢/٢٢ ، ٣ ، ٤

ويبدو أن أعظم أمر ، وأسمى سبيل يمكن أن يقدمه المسلم للرسول الكريم ـ من الناحية النظرية ـ فيما جاء في الآيات والأحاديث النبوية يكمن في توجيه الله تعالى للمسلمين بقوله : «إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً»[٦٤] فالآية الكريمة تتضمن فِعْلَيْ الامر «صلوا» و«سلموا» ولذلك يتجلى هذا الامر واضحاً لدى ابي عبد الله ، ويتنامى حتى يتجسم في حقيقة أن الصلاة عليه تصبح هدفاً وغاية في أشعاره ، في ثلاث قصائد ، ميميتين في بحر الكامل ، ودالية في الطويل . .

جاءت الميمية الاولى في اثنين وعشرين بيتاً ، استهل أبياتها السبعة الاولى بجملة «صلوا على» وانساقت في محورين . . أحدهما : يقدم على تعداد خِصَاله السّامية ، وصفاته الرفيعة ، وآخر يقوم على أساس تفرده بالمعجزات الخارقة ، ومن النمط الاول قوله :[٦٥]

صلوا عـــلى خـــير الـــبريـــة خِيـــما
وأجـــلّ من حـــاز الفخـــارَ صميـــما
صلوا عـــلى من شُـــرِّفَتْ بـــوجـــوده
أرجـــاءُ مكَّـــةَ زمـــزمـــاً وحـــطيـــما
صلوا عـــلى هـــادٍ أرانـــا هـــديُـــهُ
نهجـــاً من الـــدِّين الحنيف قـــويمـــا
ذاك الـــذي حـــاز المكـــارم فـــاغتـــدت
قـــد نـــظّمت في سلكـــه تنـــظيـــما

---

(٦٤) الاحزاب : ٥٦
(٦٥) ١/٣٧ ، ٢ ، ٥ ، ٨

ومن النمط الثاني قوله :[٦٦]

وبدت شواهد صدقه قد قَسمتْ
بدرَ الدجى لقسيمه تقسيما
والشمس قد وقفت له لمّا رأت
وجهاً وسيماً للنبيّ وسيما
كم آية نطقتْ تصدّق أحمدا
حتى الجمادُ أجابه تكليما
والجذع حنّ حنينَ صَبٍ مُغرم
أضحى للوعات الفراق غريما

ويختمها بقوله :

يا أيها الرّاجون منه شفاعَةً
صلوا عليه وسلّموا تسليما

أما قصيدته الميمية الثانية فقد جعلها مخمسة ـ وهي الوحيدة في ديوانه ـ فقد بنى شطرها على جملة «صلوا عليه وتسلّموا تسليماً» في تسعة وعشرين مقطعاً ومطلعها :[٦٧]

الله زاد محمداً تكريما
وحباه فضلا من لدنه عظيما
واختصه في المرسلين كريما
ذا رأفة بالمؤمنين رحيما
صلّوا عليه وسلّموا تَسليما

وهي الأخرى تقوم على المحورين المتقدم ذكرهما آنفاً ، ومطلعها مما يجري في المحور الأول ، ومما جاء في المحور الثاني قوله :

---

(٦٦) ١٢/٣٧ ـ ١٥ ، ٢٢
(٦٧) ١/٣٨ ، ١٩

بَـرَكـاتـه أربتْ عـلى التّعـداد
كم أطعمتْ من حاضرٍ أو بادي
من قصعة أو حثية من زادِ
رزقـــاً كـــريمـــاً للجيـــوش عميـــماً
صلوا عليـــــه وسلّمـــــوا تسليـــماً

وأما ثالثة الاثافي فداليته المعروفة بـ «القصيدة المباركة الشريفة» وهي في مائة وأربعين بيتاً ، ولأهميتها أفردنا القول فيها في بحث سابق ،[٦٨] وهي أطول قصيدة للشاعر في هذا الموضوع .

الأول : تعداد معجزاته (عليه الصلاة والسلام) والامور الخارقة التي أجراها الله له على يديه

الثاني . مقامه عند الله ، ومنزلته التي آثره الله بها دون الانبياء أو الناس

الثالث : التحدث عن شمائله وكريم صفاته وخلاله .

واذا صحَّ ما رآه الدكتور مصطفى سويف[٦٩] ، في تحليله لقصائد عدد من الشعراء المحدثين ، من أن القصيدة الطويلة عنده «عملية كبرى» مركبة تساهم فيها عمليات صُغرى ، وأن الشاعر يبدع قصيدته قسماً قسماً . . فان هذه المحاور الثلاثة تمثل أقسام القصيدة .

واما الحديث عن معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) فحديث تناولته الأقلام وتعاودته ، ولكننا نشير الى رأي الشيخ يوسف النبهاني اذ يقول :

---

(٦٨) القصيدة المباركة الشريفة ، مجلة الرسالة الاسلامية ص ٩٧ (وزارة الاوقاف ـ بغداد/١٩٧٦ سنة ١٩٨٤)

(٦٩) الاسس النفسية للابداع الفني ٢٦٦

«كانت معجزاته ودلائل نبوته (صلى الله عليه وسلم) أكثر وأعظم ، وأظهر وأدوم من سائر معجزات النبيين ودلائل نبواتهم ، بل لو اجتمع جميع ما ظهر على أيديهم من ذلك مضاعفاً أضعافاً كثيرة لما عادل فضيلة واحدة له صلى الله عليه وسلم وهي القرآن .

كما أن جميع فضائلهم صلوات الله عليه وعليهم ، لو اجتمعت لما عادلت فضيلة واحدة له صلى الله عليه وسلم وهي المعراج ، وما حصل له فيه ، ، ولم يرد لأحد منهم صلوات الله عليه معجزة الا ورد له صلى الله عليه وسلم ما هو اعظم منها او مثلها . . وله من المعجزات الباقية ما لا يحصى ولا يعد .

فمن ذلك بل أعظم ما هنالك كلام الله القديم ، وقرآنه العظيم ، فانه يشتمل على آلاف كثيرة من المعجزات والدلائل . . ومن ذلك كرامات أولياء امته صلى الله عليه وسلم . .»[٧٠]

ومن البحوث القديمة التي ناقشت معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام ، ما كتبه القاضي عبد الجبار الأسد أبادي (ت ٤١٥ هـ) في اثبات سائر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم سوى القرآن ، وبيان دلالتها على نبوته حيث جعلها على أضرب ثلاثة[٧١] :

١ ـ ما تعلم صحته وثبوته ، إما باضطرار ، وإما باستدلال .

٢ ـ ما ظهر واشتهر ببعض الطرق التي تعلم منها الاخبار .

٣ ـ ما ينقل نقل الآحاد ، ويكثر ذلك .

---

(٧٠) حجة الله على العالمين ص ٣ .

(٧١) المغني في أبواب التوحيد والعدل ـ اعجاز القرآن ـ ١٦/٤٠٧ ـ ٤٢٣ .

ثم ذكر كثرة المصنفات في هذا الباب ، وساق امثلة لمعجزاته في الضربين الاولين في مناقشة منطقية هادئة . .

وللقاضي عياض (٥٤٤ هـ) مصنف عن الرسول عليه الصلاة والسلام تناول فيه معجزاته فجعلها صنفين[٧٢] :

صنف : مقطوع به وقائم ومفهوم بالضرورة .

وآخر : لم يروه الا العدد اليسير .

اما ابن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ) فيرى أن معجزاته (عليه السلام) معنوية وحسية[٧٣] وقد فصلنا القول في مرامي القصيدة في البحث الذي أشرت اليه آنفاً ، فلا أريد أن أطيل في غير مطال .

جـ ـ شعر الأخويات والمراجعات :

تبدو قصائد ابن الجنان في هذا المجال ، مقرونة بالمناسبات ، كالتهاني والتبريك بدخول أحد العيدين ، الفطر أو الأضحى ، او تهنئة بمولود ، وكالتعازي والمواساة بفقدان عزيز . . وحلول نكبة طارئة ، او مرض عارض .

وجل هذه القصائد ان لم يكن جميعها يدخل في باب الأخويات ، لأنه في أكثره يعنى بشؤون أصحابه وأترابه من أبناء عصره ، ولم يتوجه به بقصد مديح الامراء أو الوزراء من أصحاب السلطان ، كان كثير التفقد لاخوانه ، متتبعاً لأخبارهم وشؤونهم ، وكذلك كان شأنهم معه بل نجاوز الأمر ذلك الى انه كان يستجيب لكثير مما اقترح عليه ، فيرتجل الابيات من ساعته ، ويحقق لهم سؤلهم ونفسه قريرة بذلك . .

---

(٧٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص ٢٠٩ (ط حجرية ١٢٧٦ هـ) .
(٧٣) البداية والنهاية ٦٥/٦ .

وقد نشط ابو عبد الله في شعر المجاوبات والمخاطبات ، وهو موضوع وثيق الصلة بالأخويات، وحلقة من حلقات ارتباط الشاعر ببيئته الاجتماعية ، وتفاعله مع أبناء عصره ، ومن ألوان شعر الأخويات شعر المجالس الأدبية ، وقصائد التقريظ والتذييل والمعارضة .

وهذه الأشعار في مجملها تؤلف نسبة كبيرة من أشعاره بحيث تحرز المرتبة الثالثة بعد شعر الالاهيات والنبويات . .

ومن قصائد التهاني ميميته التي جاءت في ستة أبيات ، يخاطب فيها أبا بكر بن المرابط ، ويبث فيها لواعج الشوق ، بعد أن فرَّق الدهر بينهما ، وشتت شملهما ، ويشعر بالحزن لعدم اجتماعه بأخيه في مناسبة العيد[٧٤] :

دنا العيدُ ليتَ العيدُ لم يدنُ وقته
فقد هاج لي وَجْداً وزادَ عراما
وذكّرني إقباله بمواسمٍ
مَضت كن بالشمل النظيم كراما
عسى أحرفي تحظي بقربِ مُنى المنى
فتَنهى الى أهل الصفاءِ سَلامَا

وصلة أبي عبد الله بأبي بكر[٧٥] وطيدة وقويّة ، وقد سجلها ابن عم أبي بكر ، صاحب زواهر الفكر ، ابو العلاء محمد بن علي بن المرابط ، في كتابه ، فحفظ لنا سبع قصائد تضاف الى السَّابقة تقع في حوالى مئتين وخمسين بيتاً . ومما يجري على غرار القصيدة السابقة ، أربع قصائد ، ونُقدر أنها نظمت بعد عام ٦٤٠ هـ وفي أوقات متقاربة ، لانه يتحدث فيها عن

---

(٧٤) ١/٣٦ ، ٢ ، ٥ .

(٧٥) لم أقف على ترجمته في المصادر التي توافرت لديّ ، وهو يبدو من خلال قصائد ابن الجنان من أقرانه ، عالماً وقاضياً وفقيهاً .

دواعي الفراق ، وآثاره عليه ، وقد رحل الشاعر عن مرسية وطنه بعد سقوطها بأيدي النصارى سنة ٦٤٠ هـ ، وبرحيله عنها فارق أباه وأخويه ، وصحبه المقربين ومنهم أبو بكر بن المرابط .

اما عينيته فهي تمثل ابا عبد الله في شوق عارم ، على الايام المنصرمة ، والمغاني المغدقة بحبهم . وهي تصدر عن قلب منفطر ، ونفسٍ كسيرة ، تودع ـ في ساعة مروعة ـ انساناً ذا مقام جدٍّ قريب لا يدري أبو عبد الله ، لعلها ساعة وداع لا لقاء بعده[٧٦] :

يـــا ليت شَعري هـــل يُـرىَ من بعـــدِ فـرقتنـا اجتـماع ؟
وهـــل التـــداني جـــابـــرٌ مني فؤاداً ذا انصـــــداع ؟
اني ســـــألتـــك ذاهـــلاً والفكـــر في كف الضيـــاع

وقصيدتاه الثالثة والرابعة طويلتان ، تندرجان في باب المجاوبات ، لانهما جاءتا في الجواب على ما ورده من أبي بكر بن المرابط ، والأولى دالية في ثمانية وثمانين بيتاً ومطلعها[٧٧] :

ســـلام كما قـد جاء من ذلـك المجدِ
كشمس الضَّبا جرَّت ذيولاً على نجـد

ويصوره بعيداً عنه ، وقد أجج مشاعره ذلك البعد والشَّحط ، تحترق احشاؤه ، وتتضور ألماً وحزناً : وتحن حنين الناقة المسنة التي يضرب بها المثل في الحنين ، اذ إنه في رحيله عن دياره كان مكرهاً بعد هيمنة العدو على ديار المسلمين ، وسقوط مرسيه ، تحت سلطانه سنة ٦٤٠ هـ مما حمل الشاعر على الرحيل :

---

(٧٦) ١/٢١ ، ٣ ، ٦ وتنظر الابيات ٨ ، ٩ .
(٧٧) ١/١١ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٦ ، ٤٧ .

أحنّ حنين النيب نحو دياركم
وأشكو، وقلبي في ذراكم، من البعدِ
فيالغريبِ الدار لهفانُ موجعٌ
غريقٌ بماءِ الدَّمعِ ضَمان للمورِدِ
وإنّ الذي بي من جَوى وصَبابةٍ
مُذيبي ولو صُوِّرت من حَجَرٍ صَلدِ

ويصور لنا الشاعر العوائق والحواجز التي تحول بينه وبين وطنه واحبته، إذ إن القصيدة تصوره وقد حال البحر دونه، فقطع أسباب المودة، ويلوح للقارىء ان ابن الجنان نظر الى رفيق عمره، أبي بكر بن المرابط على أنه رمز من رموز الوطن السليب، ولذلك تفيض عواطفه وتجود في خطابه على هذا النحو:

تسيرها تجري اليك سوابحاً
سوابق أمثال المطهمة الجُردِ
تطير بأجنحاِ الرياح، وتارةً
اذا ما ونت مدَّت مجاذيف للوخَدِ

ان قصائد المجاوبات كانت على صورة فنية تشبه قصائد المعارضات التي شاعت في بيئة الأندلس في بعض دواعيها وغاياتها، وفيها يلتزم الشاعر الوزن والقافية، وهو ما يتجلّى واضحاً في قصيدته اللامية التي يجيب فيها على رسالة وصلت اليه من أبي بكر بن المرابط في أربعة وعشرين بيتاً ومطلعها[٧٨]:

زارتْ صباحاً ودَوْحُ البان مطلولُ
عليلة نَشرها للصّبّ تعليلُ

(٧٨) زواهر الفكر ورقة ١٢.

وقصيدة ابن الجنان الجوابية تنيف في عدد أبياتها على قصيدة ابن المرابط حيث جاءت في ستة وخمسين بيتاً، وهي لا تختلف في كثير عن القصائد الثلاث التي تقدمت ، كما تتفق مع سابقتها الدالية ، في بث الشجون واسبال الشؤون في وطن الغربة ، حيث يصوّر نفسه هائماً تائهاً ، ضلّ طريقه ، حيران ظمآن في طريق الفراق الموحش[٧٩] :

أنـا الـذي وصلَتْ أسبـاب وحشتـه
ولـيس بي سببٌ لـلأنس مَـوصـولُ
وقـطّع الـوجـد أحشـائي فـلي كبـد
نـجيـعُهـا في طـلول البـعـد مـطلولُ

ويشير الى المنتدى الذي كان يجمعهم ، منتدى الوزير ابن عصام ، ومجالسهم العبقة فيه ، ثم يختم مورياً ببعض الاصطلاحات الحديثة فيقول :

وحيث «ابـن عصـام» والـنـدى وطن
قـد حـلّ فيـه من أبنـاء العـلاجيـلُ
هـذا حـديث اشتيـاقي ، وهـو مختصر
وربمـا قـيـل فـيـه : الـقـول مملولُ
خـذوه عني ، صحيح النقـل ، متصـلاً
ففي الأحـاديث ، مقـطوع ، ومـعلولُ

وآخر ثلاث قصائد تتصل بأبي بكر بن المرابط لامية ، وهائيتان ، والأولى وجهها ابن الجنان اليه بعد مرضه ، وأخذه الدواء داعياً له بالشفاء ، وفيها يعمق مفهوم التخفف في زيارة المريض ، وعدم الاثقال عليه[٨٠] :

---

(٧٩) ٣/٣٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٢٠ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥ .
(٨٠) ١/٣٢ ـ ٢ وينظر هامش القصيدة .

لا يـزور الخـليـل عـنـدي خـليـلاً
يـوم أخـذ الـدواء الا ثـقـيـلاً
كيف أصبحت ؟ كيف أنت ؟ سؤالاً
مـن بـعيـد حـسبـي بـه تـطويـلا

ولما فرغ ابن المرابط من دوائه ، وتماثل للشفاء ، أجابه في ثلاثة عشر بيتاً ملتزماً القافية والوزن :

يـا خليـلي بـل سيّـدي فـهـو الحقـ
ـق رويـداً بـالله شـيئـاً قـليـلا

وفيها ينكر عليه نسبة الثقيل الى الخليل ، لمكانته الخاصة من نفسه حيث يجد فيه الراحة والشفاء :

أنـتَ والـلهِ راحـتي وشـفـائـي
فـإذا لم أبـصـركَ كـنـتَ الـعَـليـلا

اما هائيتاه ، فمقطعة ومطولة ، وهما تتصلان بمناسبة واحدة ، والمقطعة بخمسة أبيات ، يهنىء فيها ابن المرابط على قصيدة نبوية ميمية في خمسين بيتاً ، مستهلة أبياتها بلفظة «سلام» ومطلعها :

سـلام كما مـرَّت على الـرّوضة الصّبـا
فنمَّت بمـا أخفت صـدورُ الكـمائـمِ

وتقع التهنئة موقعاً حسناً من ابن المرابط

أهـدى الى خـير الانـام تحـيـة
مـهـدٍ هـداه الى الـسـلام هـداه

فيجيبه ابن المرابط معرباً عن حبه اياه :

يـا مـن غـدا بجـوانـحي مـثـواه
حـبـاً طـوى قـلـبـي عـلـيـه الله

وهي في أربعة عشر بيتاً ، يشكره فيها على هديته فيقول[٨١] :

أهـديـت لي مـا أرتجـي بـقـبـولـه
كـرم الإلـه وأن انـال رضـاه

وينطوي جواب ابي عبد الله على اعجاب وثناء ، اذ يرى فيه قدوة صالحة ، حيث تمضي القصيدة في أبياتها على هذا النهج ، فابن المرابط ، بحر ومزن ، وهو محيٍ لقلب الشاعر[٨٢] ، ألم يقل فيه[٨٣] :

الله ألهـمـه الـبـيـان ولـو أرى
رأى الـغـلاة لـقـلـت : بـل أوحـاه

ويأتي بيت القصيد في البيت الخامس والعشرين ، حيث تصل بقية ابيات القصيدة به وتدور حوله :

فـاذا رمـى بـحـكـيـمـةٍ في محـفـلٍ
حـكـمـت لـه فـيـه بـرغـم عـداه

فما تكون هذه الحكيمة ؟ قصيدة اي قصيدة ! تخرس الشعراء ، وتنتزع منهم الاعجاب فيذعن امرؤ القيس وزهير لها . . وهي من البلاغة بمكان بحيث تتعشق الالباب سحر بيانها ، وصناعتها تنسي وشي وقماش

---

(٨١) ١/٥٠ وينظر هامش القصيدة كذلك .
(٨٢) تنظر الابيات : «١٢ ، ١٣ ، ٢٣» .
(٨٣) ٢٣/٥١ .

صنعاء ، فهي غائبة عن بديع الزمان الهمداني مُغفَلة عن خطباء العرب ورواتهم ، قس وسحبان والاصمعي[٨٤] .

ويجعل حكمه فيما أبدع مناظراً لحكم سميّه (يحيى) عليه السلام على نحو مانعته الله في القرآن الكريم[٨٥] :

ما الحكم إلا ما نطقت بفضله
والحكم قدماً حازه «بحياه»
أسميّه ، لله أنت مباركاً
أسماه ربّ العرش إذ سمّاه

وثاني الاثنين اللذين أسلس لهما ابن الجنان قِياد شعره ، وأسمح الزمان بينهما فتخاطبا واقترنت أشعاره به ، ابن عم المتقدم آنفاً العالم الفقيه ، ابو العلاء محمد بن علي بن المرابط ، صاحب كتاب «زواهر الفكر وجواهر الفقر» ، الذي عرّفنا به سابقاً[٨٦] ، اذ يحرز ابن الجنان عنده مكانة رفيعة ومنزلة سامية ، فهو يتفاءل بمقاله ، ويتبرك بنظمه . . ومجموع ما نظم ابن الجنان مقروناً بأبي العلاء سبعة نصوص سنقف عليها فيما يلي . .

في أول كتابه يذكر انه سأل ابن الجنان ان يقول في ذلك ، فيجيبه على البديهة في أحد عشر بيتاً منها قوله[٨٧] :

ابدأ مقالك بالثناء على النبي
جلّت محامده عن الاحصاء

ويكرس بقية أبيات القصيدة لمدح النبي عليه الصلاة والسلام ، كذلك يفعل حين يسأله ابو العلاء أن ينظم أبياتاً بَعد أن أتم تأليف السفر الثالث من كتابه فيرتجل أبياته السبعة مستهلة بقوله[٨٨] :

---

(٨٤) تنظر الابيات : «٢٩ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨» .
(٨٥) ١ ص/٤١ ، ٤٢ .
(٨٦) تنظر ترجمته في الذيل والتكملة ٤٥٣/٦ .
(٨٧) ١/٢ .
(٨٨) ١/٢٩ .

اختـتـم بـذكـر محـمـد فـبـذكـره
يـذكـو شـذا مسـك الختـام ويعبقُ

وحين يجمع الله بين شاعرنا وابي العلاء في اوريولة ، حيث كان الناس يرقبون نزول المطر ، ويرغبون فيه لحاجتهم اليه ، يسأله أبو العلاء أن يقول في ذلك فيرتجل على البديه ستة أبيات منها[٨٩] :

الغيث في الغيب لا يـدري بـه أحـدٌ
إلا الإلـه الـذي يُمنى بـه السُّحبـا

ويعود الى مخاطبته ثانية بعد رحيله من سبتة الى بجّاية فيقول[٩٠] :

أأبـا العـلاء وأنتَ تـدري مـا الـذي
تَـطوي عـليـه من الـوداد ضُـلوعـي
راعـيـتُ فـيـهـا لـلوفـاءِ أذمَّـةً
إن الـوفـاءَ أحـقّ شيء رُوعـي

ويخاطبهُ في ثالثةٍ من بجّاية كذلك في قصيدة وصل بيت منها يقول فيه[٩١] :

أأبـا الـعـلاء وانـت مـني حـلة
بمـثـابـة الايـثـار والـتـكـريـم

ولا نعرف عن أبي العلاء بن المرابط في الترجمة الوحيدة لابن عبد الملك المراكشي له ، أنه كان يقول الشعر ، وكتابه «زواهر الفكر» الذي ألفه ليكون مجموعاً شعرياً لكثير من شعراء عصره ، يخلو من أشعارٍ له ، ولذلك كانت رسائل ابن الجنان من طرف واحد لا كما حصل مع ابن عمه أبي بكر بن المرابط .

---

(٨٩) ١/٤ ، ٥ .
(٩٠) ١/٢٥ ، ٣ .
(٩١) ق ٤٢

وأطول قصائد شاعرنا المقترنة بأبي العلاء ، هائيته التي جاءت في واحد وعشرين بيتاً ويمهد لها بقوله :

فسألته ان يكتب لي شيئاً . فقال لي : ما تريد ؟ فكتبت له كلمة «الله» ، وقلت : اجعل هذه الكلمة الشريفة أول ما تفتتح . فيجيبه الى ما أراد مفتتحاً باللفظة وخاتماً كذلك بها :

لـله أبعثُ رغبتي متيقناً الا يخيّب راغب لله

وتمضي القصيدة في أبياتها مُنصبَّة على بيان إنعام الله على الانسان وآلائه وأدب الانسان معه . وفي ابياتها الاخيرة يتحدث عن سلوكه مع الله ، فيتبع لفظة الجلالة المسبوقة باللام بالافعال التالية : ألجأ ، آوى ، ابسط ، أسأل ، ادعو . . ثم يختم قصيدته على نحو ما يختم إلاهياته بذكر الرسول الكريم وتشفيعه إياه

لله وسَلتُ النبي محمداً أكرِم بتلك وسيلة لله
لله ما أجدى ، تشفع مذنب متشفِّع بمحمدٍ لله

واذا كانت قصائده مع أبي العلاء ابن المرابط تدخل في باب الاخويات فقط ، لا المجاوبات لأنها كانت رسائل شعرية من ابن الجنان فقط ، فإن مما جرى على منوال مراسلات شاعرنا مع أبي بكر بن المرابط التي كانت قصائده أخويّة وجوابية كذلك قصائده مع عالمين جليلين من علماء عصره هما : أبو عبد الله عابد الاندلسي[٩٢] وابو الحسن الرعيني[٩٣] ، وهي رسائل شعرية نثرية تنطوي على براعة لغوية ، إذ علم بأن ابا عبد الله دخل الاندلس وتولى الكتابة لبعض رؤساء الاندلس ، فكأنه أراد اختباره وقصد تهنئته لتوليه

---

(٩٢) لم اقف على ترجمته فيما لديّ من مصادر .
(٩٣) تنظر ترجمته في هامش القصيدة ٤٦ .

الكتابة بأسلوب طريف ، اذ التزم في رسالته حرف العين في كلماتها أجمع وكذلك الشأن في أبياتها الخمسة التي تسبقها ومطلعها[٩٤] :

يا ظاعناً عنا ظَعنت بعِصمة ورَجعت معتمداً بعز صاعد

وكان على ابن عابد أن يجيبه ملتزماً ما التزمه ، قال ابن عبد الملك[٩٥] : فشاعت هذه الرسالة بالأندلس ، وتنوقلت شرقاً وغرباً ، وتُحدِّث بعجز ابن عابد عن مراجعة ابن الجنان ، فراجعه شيخنا ابو الحسن الرعيني رحمه الله ـ عاتباً ، وزاد التزام العين قبل روي الابيات الدالية التي افتتح بها هذه المراجعة ومطلعها :

أعِدِ العهدَ للعميدِ بعطفهِ تعنى برجعة عَهدِك المتباعد

وهي سبعة ابيات تعقبها رسالة في حوالى ثلاث صفحات . . فماذا يكون من شاعرنا ابن الجنان ؟ اجاب الرعيني برسالة مستهلة بقصيدة نونية في عشرين بيتاً ، تعقبها رسالة في حوالى خمس صفحات ومطلع الابيات[٩٦] :

أتعتبني عمادي عمدَ عيني وعين العذر تعرفه كعيني

واذا كان الرعيني قد التزم في مراجعته السابقة العين ، قبل روي الأبيات في قافيته المؤسسة ، التزاماً اضافياً ، فان ابن الجنان فاقه حين جعل نونيته المردفة بالياء مختومة بكلمة «عين» في أبياتها أجمع مستفيداً من سعة اللغة في معاني كلمة «عين» . فما يكون من الرعيني الا أن يجيبه ثانية ، مقراً له بالبراعة والتفوق برسالة في حوالى خمس صفحات مستهلة بثلاثة وعشرين بيتاً مطلعها[٩٧] :

عـلاك علَتْ عُلوّ الشّعـريـن

مصـاعـده لإعـلى المـطلعـين

(٩٤) قد ١٥ .
(٩٥) الذيل والتكملة ٣٣/١/٥ .
(٩٦) قد ٤٦ .
(٩٧) الذيل والتكملة ٣٤١/١/٥ .

وهي على غرار القصيدة المجابة ، من حيث اختتام أبياتها بكلمة «عين» ويبدو أن هذه المجاوبات الأدبية كان لها صدى في عالم الأدب آنذاك ، إذ يُدلي بدلوة عالم أديب هو ابو المطرف بن عميرة (ت ٦٥٨ هـ)[٩٨] ، ويدخل مضمارها معجباً بالأديبين «الرعيني وابن الجنان» فيجعل ميسم اعجابه بهما رسالة في حوالي صفحتين مستهلة بأربعة أبيات يلتزم بحرف النون في كلماتها أجمع ، من حيث أن اسميهما يتضمنان حرف النون ومطلع أبياته :

محاسن دنيانا تبين لِناظرٍ
يُنقِّب عَنها مُستبيناً لعَينِها

ولم تكن هذه الاحداث السياسية الجائحة ، لتدع هذه الاريحية الادبية في استرسالها تفيض وتغدق ، بين هؤلاء الأدباء ، إذ إن الرسالة النونية ، لم تصل الرعيني ـ لا ندري إن كان حظ ابن الجنان كذلك ـ اذ كان اختلال واضطراب الاحداث حائلاً سنة ٦٥٥ هـ ، عبّر عنه ابن عبد الملك المراكشي بقوله : «فَقطع عن بعثهااليه ، ما طرأ في الجزيرة من اختلال وتفرق كان لغير اتصال»[٩٩] ، وقد حفظ المراكشي رسالة الرعيني الموجهة الى أبي المطرف بن عميرة ، يتشوق فيها الى هذه الرسالة النونية[١٠٠] .

ولكن ما أبعاد رسائل ابن الجنان مع ابن عابد والرعيني ؟

واضح انها كانت مكرَّسة لإظهار البراعة الفنية في اللغة والبديع ، في تواضع جم لا يفسده عُجبٌ أو تبجّح . . إذ إن معاني تلك القصائد كانت

---

(٩٨) ينظر عنه الدراسة المستفيضة للدكتور محمد بن شريفة ، ابو المطرف بن عميرة ، حياته وآثاره ـ ١٩٦٦ .

(٩٩) الذيل والتكملة ٣٤٨/١/٥

(١٠٠) نفسه ٣٥١/١/٥

تجري في الاتجاه العام لقصائده ، التي كرَّسها لإجلال القيم الخلقية ، وتأصيلها ، فهو يعلن عن تواضعه الأدبي فيصف نفسه بالعجز[١٠١] :

وعجزي مُعْلِنٌ بالعذرِ عني فدعْ عَتبي أَيا سمعي وعَيني
وضَعفي عَاقَني عن بَعثِ عَينٍ تُعوِّضها بعِقيانٍ وعَينِ

كما انه يجل ما يأتي من غيره ، بعد أن يعترف بقلة بضاعته :

وتُبدع للمعَالي معجزاتٍ فتطلعُ للعيونِ شُعاعُ عَينِ
فيا عَلَماً لإعلامٍ عِظامٍ عَلا بالعِلم أعلى المطلعين

ويختم قصيدته باعتراف جديد ينم عن التواضع كذلك حيث إنه كرّر في بيتين ـ خطأ ـ كلمة «رعين»[١٠٢] قبيلة أبي الحسن التي ينسب لها ، اي أن الكلمتين جاءتا بمعنى ، كما أنه يعترف بإنه غفلَ عن التزام العين في كلمتين أُخريين[١٠٣] .

ومن أخويات ابن الجنان ، بعدما تقدم من استعراض أشعاره مع أبي بكر وأبي العلاء ابني المرابط ، وابن عابد ، وأبي الحسن الزعيني ، ثلاث قصائد دالية ولامية في التهنئة بمولود ذكر رزقه الوزير ابو بكر الاصيلي[١٠٤] ، اما الثالثة فهي عزاء ومواساة لوفاة ابن أخيه . . وسنقف عندها في موضع لاحق من الدراسة .

ودالية في خمسة عشر بيتاً ، يستهلها بقوله ، يهنىء . . بطلوع طائر السعد ومطلعها[١٠٥] :

هنيئاً بسه تجسلى العسلا والمحسامسد
واسعسد مسولسود لا مجسد والسدِ

---

(١٠١) ٣/٤٦ ، ٨، ١١، ١٢

(١٠٢) أشار المحقق إلى البيتين «٢، ١٧»

(١٠٣) كذلك أشار المحقق ، وهما : «٢ ، ١٩» .

(١٠٤) لم أقف على ترجمته فيما لدي من مصادر

(١٠٥) ١/١٢ ، ٥ ، ٨ ، ١٥

وهي تهنئة ومدح ، واجلال للاصل والفرع ، فالمولود أكرمُ منتم الى قادة المسلمين ، وهو ابن الاماجد ، ورث الأصالة عن أبيه سليل المحتد الرفيع والفضل والسجايا وحق له أن يفخر ويزهو ، ويبارك هذا النسل ويقر عيني ابيه ثم يدعو له باليسر والسعادة :

وأوجـــد منـــه السعـــد أكـــرم منتم
إلى «طـارقٍ» في المكـرمـات و«خـالـــدِ»
لـــه في نِصـاب المجـد والملك نِسبةٌ
تنادى بنادي الفخـر هل من مماجد ؟
ودامت لـــه السراء تعمســر ربعـــه
فتُصفي من الآمـــال عَـــذبَ المـــواردِ

اما قصيدته اللامية فينص على انها تهنئة بطلوع مولود ذكر ، كما ينص على انه يعارض فيها عصريَّة الفقيه ابا بكر بن محرز ، وقد ساق لنا قصيدة ابن محرز بعدها مباشرة وذكر انها ايضاً في تهنئة الوزير ولكن بطلوع بنت لا ذكر ، ومطلع قصيدة ابن الجنان وهي مطولة في ثمانية وستين بيتاً على مجزوء الكامل[١٠٦] :

بـــالسعـــد طـــالعـــك المهـــل لـــــطلوعـــــه العليـــا تَهـــل

د ـ شعر الرثاء :

رابع موضوعات الشاعر ، من حيث كمية النِتاج ، على الرغم من قلة عدد قصائده فيه ، فهي سبعٌ فقط ، لكنها تؤلف نسبة ليست قليلة من مجمل ديوانه ، اذ تتميز قصائده بالطول ، ومجموع أبياته حوالى اربعمائة بيت ، وهي في اتجاهها العام تميل الى الندب والتفجع ، واظهار اللوعة ، والجزع

---

(١٠٦) ١/٣١ ، ٦ ، ١٨ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ٥٩

من المصاب الجلل الذي رزئه الشاعر ، لكن القصائد ليست جميعها بنفس واحد ونبرة متكررة . .

تقع غرة قصائده وأطولها ، فائيته ، في واحد وسبعين ومائة بيت ، وهي من البسيط ، أطول قصائد ديوانه ، وحق للشاعر أن تجود عاطفته وتفيض في مصاب مثل مصابه ، ومن مثل الأب صلة بالإبن وقد لابست ظروف وفاة الأب أحداث سياسية أشرنا اليها في موضع سابق عن حياته[١٠٧] :

لا أمنع الدمع أن يهمى وأن يكفا
ولا أزال بربع الحزن معتكفا

وليس بوسعنا أن نلم بأبيات القصيدة جميعها ، لكننا سنتوقف عند أبرز مناحيها ، فواضح من مطلع القصيدة ، وأبياتها الأولى ، تفجع الشاعر ولوعته لهول المصاب الذي نزل به ، ومكانة أبيه الشيخ اثيرة ، ورفيعة ، ولذلك فهو ينكر على من يدعوه للصبر ، بل يدعوه الى مساعدته على محنته :

فانّ رزئي رزءٌ لو بكيت له
دَمَ الحشا ما كفى لو سال أو وكفا
فيا مُريد اصطباري لا ترد شططاً
هيهات تبصرني بالصَّبر متّصفا

ويروي لنا بأسلوب المأساة ، كيف قُصّ جناحه ، وهدّ ركنه ، وعلى من هبت رياح المنايا العاصفة :

فصادَفَتْ أصل إيجادي ، وقد نحتَتْ
أيامُه عودَه فانهدّ وانقَصَفا
فعود جسمي ذاوٍ من تذكّره
فكيف ينعم فرع أصله انجعَفا

---

(١٠٧) ١/٢٧ ، ٢ ، ٤ وينظر (١٠) ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ .

والمـرء جـزءٌ أبـوه كـلُّه واذا
مـا أفـردَ الجـزء عن كُلِّيـه ضَـعُفَـا

ويرى أن جَبْر قلبه ومساعدته على اعباء مصيبته بالبكاء معه لا دعوته الى الصّبر ، ويوضح الشاعر اسباب حزنه المضاعف وجزعه ، أن أباه توفى ، بعد شوق شديد الى اللقاء به ، فما أمهله القدر الا أيّاماً[١٠٨] بعد لقائه بابنه ، بعد عام من الفراق في دار الغربة ، وينتقل الشاعر بعد أبياته الى الحديث عن نكبة المسلمين بالأندلس في حوالي عشرين بيتاً ، وبيّن ان الشاعر عاش ازمتين عظيمتين ، أزمة مرض أبيه الذي أودى به وأزمة ذهاب وطنه بأيدي الاسبان ورحيله عنه ، وفي أزمته الثانية يقول :

يـا غـربـةً جـرَّهـا ، والـدار مكتئب
صَـرفٌ من الدّهـر عن أوطاننـا صَرَفا
إذ صـارَ فيهنّ دين الحـقّ مغـتربـاً
يرتاعُ إن صدَّ ناب الكفـر او صدفـا

فان كان أمله قد فقد بوفاة أبيه ، فإن بصيص الأمل ما زال يراوده في عودة ديار المسلمين الى حوزتهم ، وجلاء الاعداء ، لذلك فهو يستنهض الهمم ويحرك العزائم ، مباهياً بالسَّلف ، مشخصاً أسباب ضعف دولة المسلمين ، وتكالب الاعداء عليهم[١٠٩] ، ويسترسل شريط الذكريات لديه ، يتذكر المجد الزاخر الذي عاشته مدينته المهيضة الجناح ، ولكن الحال تغيرت بالبلاد ، فحال وجهها ، ونزلت النكبة بالاسلام والمسلمين ، ودعت كثيراً من اهل الاندلس الى الهجرة والرحيل ، ومفارقة الاحباب والاوطان ، وكان واحداً من اولئك الذين هاجروا من مرسية الى اوريولة . . فينفث حسراته ، ويبث لواعجه لفراقه الدار واهلها ، ولكن لا بأس عليه فهو ليس

---

(١٠٨) ٢٧/٥٩ حيث يشير إلى أنها كانت تسع ليال
(١٠٩) ٢٧/٢٩ ، ٣٠/٣٤ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥١

خواراً او جباناً ، كي يخرج بقصد النجاة بالنفس ، بل كان خروجه . . فراراً الى الله :

فـاذا رأيـت أمـوراً كـلّهـا تـلفٌ
فـررتُ لله كـيـما آمـن الـتَّـلفـا

ومن قبل استرضى نفسه حين خاطب ابن المرابط بعد رحيله بقوله معللاً[110] :

ويـا حبـذا الأوطـان بـالكـره فـورقت
لجـور جـوار الكفـر والـزمن الـوغـدِ

وتلوح لنا حيرته في أزمة نفسية ، بَدَتْ معاناته منها . . وانتهى به الأمر الى الرحيل ، وبقاء أبيه في مرسية حولاً . . ، والابن يحثه على القدوم . . ولكن المرض كان هو العائق ، وهي ذي مرسية وما آلت اليه[111] ، وينتقل الشاعر الى نبرة جديدة في قصيدته ، ويضرب على وترٍ طريف ، بعد أن يسرد مأساته بأبيه ، فيتحدث في حوالى ثلاثين بيتاً عن فلسفة الحياة والموت على طريقة المعري في قصيدته المشهورة «غير مجدٍ . .» وقد سلك هذا المسلك آخرون من عصر الطوائف امثال ابن وهبون المرسي (ت ٤٨٨ هـ) ، وابو عامر الشنتريني (من شعراء الذخيرة)[112] ، الا أن الشاعر لا يبعد في تلك النزعة ، اذ سرعان ما يصدر عن نزعة الفقيه الذي يقتفي آثار الشريعة الاسلامية ، فالناس في غفلة عن أمرهم ، مسرورين لإقبال الدنيا عليهم[113] :

---

(١١٠) ٣٢/١١
(١١١) ٤٢/٢٧، ٤٥، ٥٥
(١١٢) تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين ١٢٩
(١١٣) ٨١/٢٧ ، ٨٣ ، ٩١ ، ٩٧

وضاحك ملءَ فيه لو درى لبكى
دمَ الفؤادِ اذا ما دَمعَه نَزَفا
ويح المقيم بدارٍ وهو مرتحلٌ
ما حلَّ مذ حلَّ رحلاه ولا أكَفَا

وفي المشهد التالي من هذا الفصل ، يحدثنا عن الدُّنيا في حوالي عشرة أبيات ، وخداع الناس بزينتها وبهرجها ، وهي الظل الزائل ، الختَّارة ، الختالة ، الفتّانة ، القتالة ، الظلامة[114] ، ويعود ثانية ليتحدث عن إرادة القضاء المحتومة ، وانها لا تمهل أحداً ، ويتوجه بالخطاب الى أخويه للبكاء معه ، على المصاب الجلل ، ثم يختم قصيدته ويسدل الستار على مأساته بالدعاء لأبيه ، الدعاء الحار ، في سبعة أبيات مستهلة بلفظة «يا رب» ويسأل الله أن يجمع شمل أسرته في دار القرار ويأتي آخر بيت في القصيدة استسلاماً للقدر واحتساباً للاجر :

يا ربّ إن أبي عبدٌ ضعيف وقد
أتاكَ مولى كريماً يرحم الضعفا
وجمِّع الشمل في دار القرار لنا
إذ تجمع السَّلف الأبرارَ والخَلَفا
ما إن له ملجأً فيما عراه سِوى
يا «حسبي الله» فيما نابني وكفى

والقصيدة الثانية ـ في هذا الباب ـ لا تقل أهمية عن قصيدته المتقدمة آنفاً ، كافِيَّةٌ في بحر الطويل، جاءت في واحد وثمانين ، في رثاء شيخه وأستاذه أبي الحسن سهل بن مالك ، الذي كان من أعيان مصره وعصره ، بارعاً في المنثور والمنظوم ، محدثاً ، عدلاً ، وافر النصيب في الفقه وأصوله

(١١٤) ٢٧/١٠٠ ، ١٠٧ ـ ١٠٩

صنّف في النحو كتاباً على أبواب كتاب سيبويه توفى سنة ٦٣٩ هـ[١١٥] ، وتأتي القصيدة مشفوعة برسالة في سبع صفحات مذيَّلة بتاريخ تحريرها منسلخ ذي الحجة من عام الوفاة ذاته .

وينحو ابن الجنان في قصيدته منحى الغائية المتقدمة ، وينسج على منوالها من حيث إظهار معاني التفجع والجزع الشديد ، لعظم المصاب وجلال الرزية[١١٦] :

دعوني وتسكاب الدموع السوافك
فدعوى جميل الصبر دعوة آفكِ
أصبرٌ جميل في قبيح حوادثٍ
خلعنَ على الأنوارِ ثوب الحَوالكِ

وإظهار الأسى عند ابن الجنان منهج وشرعة في بيان مقام المؤسو عليه :

فكل أسى لا تَذهبُ النّفس عنده
فما هو إلا من قبيل التَّصنع

ولا ريب أن وفاة العلماء مصيبة للعلم وأهله تؤدي بهما ، وفي الحديث الشريف : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ، ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[١١٧] ، وقد نوه الشاعر بمنزلته الرفيعة التي تجعله في مصاف مالك والشافعي رضي الله عنهما[١١٨] :

أما قد علمنا والعقول شواهدٌ
بأنّ انقراض العلم أصلُ المهالكِ

---

(١١٥) تنظر ترجمته في هامش القصيدة (٣٠)
(١١٦) ١/٣٠ ، ٢
(١١٧) متفق عليه ، ينظر اللؤلؤ والمرجان ١٨/٣ ، (ط عيسى الحلبي بالقاهرة)
(١١٨) ٩/٣٠ ، ١٠ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٣ .

إذا أذهبَ الله العلومَ وأهلهـــــــا
فـــما الله للدهـــر الجهـــول بتـــاركِ

وفي الوقت الذي يؤبّن ابن الجنان شيخهُ ، ويحدثنا عن جلال علمه ، يفزع إلى الكذب ، وينكر أن يصح لديه ، خبر انتقاله إلى الرفيق الأعلى دهشة وهلعاً ثم يشارك الأرض والسماء في مصابه :

لعلك في نعيِ العـــــلا متكـــــذِّبٌ
فكم مـــاحلٍ من قبلُ فيـه ومـاحـكِ

ويعود ثانية ، متحدثاً عن جلال المصيبة في حوالي خمسة عشر بيتاً مستهلاً أبياته بـ«من» حرف جر تارة ، واسم استفهام تارة أخرى ، ولا يملك إلا الاستسلام لقضاء الله المبرم الذي لا مفر منه ولا محيد عنه ، وهو الذي أفنى الأمم السابقة واخترمها ، ولو أنه راقب أحداً ، ووقّره لِكرم مقامه ، أو لطول إقامته لراعى محمداً (صلى الله عليه وسلم) أو نوحاً عليه السلام . . ويُعرب عن شدّة ألمه لما دهاه ، وأن العَزاء لا يسوغ في أمثال شيخه ، ثم سرعان ما يعود عن هذه النبرة إلى أسلوب ينكر فيه البكاء في صورة من صور الصحوة ، للمقام العلي الذي أحرزه المرثي[١١٩] :

فكيف أعـــزّي والتّعـــزِّي محـــرمٌ
عـــليّ ولكن عـــادةٌ آل مـــالـــكِ
فيـــا عجبـــاً منـــا ، نبكّي مُهَنّـــأً
تبـــوّأ داراً من جِـــوار المـــلائِـــكِ

ويختم قصيدته بالدّعاء لشيخه بشآبيب الرحمة ، ولنفسه بالطمأنينة والسكينة :

---

(١١٩) ٣٠/٦٦ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٠ .

فيـــا رحمـــة الـــرحمن وافي جنـــابـــه
ويـــا رُوحـــه سَلِّم عـــليَّ وبـــاركِ

وثالثة الاثافي داليته في بحر الكامل ، في واحد وخمسين بيتاً في رثاء امرأة ـ لا نعرفها ـ يعزي أخاها ومطلعها[١٢٠] :

دمـــع بنـــيران الضلوع يَصعّـــد
هـــذا يســـحّ وهـــذه لا تُخمـــدُ

وتأتي قصيدته عازية سابقتها ، تفجعاً وهلعاً ، حتى إنه يسوغ ذلك ويحسّنه ، ويَجده محموداً في مثل هذه المواطن ، وله في رسول الله صلى الله وسلم ، أسوة حسنة :

لـــو كـــان ذلـــك مـــا بكى أحبـــابـــه
جـــزعـــاً لفقـــدهم المبـــاركُ أحمـــدُ
نبكي بكـــاء تـــرحمٍ كبكـــائـــه
ونقـــول مـــا يُـــرضي الإلـــه ، فنسعـــدُ

ويوالي في ألفاظ الحزن مستخدماً لفظة «نبكي» في سبعة أبيات ، مؤبّناً إياها بذكر محاسن ومكارم أخلاقها ، وهي المرأة القانتة الكثيرة البرّ والإحسان :

نبكي التي لـــو تُفتدي سمحت لهـــا
نفس بهـــا وبكـــلّ مـــا تحـــوى اليَـــدُ
نبكي الفقيـــــدة أنها مـــــا مِثلهـــــا
في الـــبر والشيم الـــرضيـــة تـــوجـــدُ

ويصوّر لنا أمّ المرأة المرثيّة وهي تصعد زفراتها ، وتبثّ لواعجها بحرارة وألم ، يشاركها في ذلك أختا المرثية ـ بنتاها ـ وهو إن كان ضعيفاً لا يثبت أمام

---

(١٢٠) ١٠/١، ٨، ٩، ١٦، ١٧

النّوازل والنكبات يدعو أمها إلى الصّبر ، لكنه سرعان ما يضعف وتخور قواه فكلما رأى ذوي قرابتها ، عاد إلى شجونه وبث لوعته[١٢١] .

وإذا ما عاد إلى الحصافة والعقل علم أن الانسان يولد ليموت ، وأما أيامه التي يحياها فهي شظف ونكد ، وما دامت الدنيا فانية زائلة ، فهو يزهد الناس في بهرجها ويدعو إلى قصد سبيل الرشاد فيها ، ويختم القصيدة بالدعاء للمتوفاة بالرَّحمة والغفران وطيب المثوى[١٢٢] :

يـا رَحمـةَ الـرَّحمـن جُـودي واسكُـبي
بِـسـحـائـب يـرتـادُهـنَّ الأَوّدُ
لـتـطيـبـي مـثـوى الـتي بِـفـعـالهـا
قـد طـابَ في الـدنيـا الثنـاءُ الأَحمـدُ

وقصيدتاه الأخريان تقتربان في منحاهما ، وتختلفان عن الثلاث السابقات ، في حرارتها وشدة انفعال الشاعر بهما ، فلا نجد تفجعاً ، وجزعاً وهلعاً ، بل نجده يذهب فيهما مذهب التأبين . ونبدأ بالميمية التي وجهها إلى الوزير الأجل أبي بكر الفصيلي ، وفيها يعزيه في ابن أخيه ، أبي بكر يحيى بن سُلَيم ، وهي طويلة النَّفس ، بلغت أبياتها سبعة وسبعين بيتاً ، اختار لها بحراً مضطرباً ، وهو الرمل واختار من الرمل مجزوءة ومطلعها[١٢٣] :

حسبيَ الله ، أحقـــــاً مـــــات يحيى بن سُليم

والقصيدة تذكر بالكافية المتقدمة آنفاً ، في رثاء شيخه أبي الحسن سهل بن مالك ، فهو يرثي كاتباً من كتاب عصره ، وإذا كان شيخه قد

---

(١٢١) تنظر الأبيات ٢٨ ، ٢٩
(١٢٢) ١٠/٤٧ ، ٥١
(١٢٣) ١/٤٣ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٥٥

أعرب عن صفته ومؤهلاته فظهرت عطاياه العلمية مع طول عمره ، فإن ابن سليم اعتبط شاباً ، وقد بدت مخايل النجابة والسّبق والبرّ . وسابع قصائده لاميته في اثني عشر بيتاً[١٢٤] ، وليس واضحاً من وجهت له القصيدة

٥ ـ السمات الفنيه :

يتجلى من سيرته التي تقدم فيها الحديث آنفاً أن ابن الجنان كان من ذوي المواهب المزدوجة فقد رفع لوائي الشعر والنثر ، وبرع فيهما ، وإذا كانت دراستنا منصرفة إلى شاعريته وشعره ، فإن الإنصاف يقتضي أن ننوه بنثره ، فقد كان معدوداً في أعلام النثر في عصره ، وحجم النّتاج الذي خلّفه وجودته شاهدان على ذلك[١٢٥] .

وإذا كان الشعر بالعلماء يزري ، فإنا نراه قد أجلّ من شأن شاعرنا ورفع قدره ، ولذلك لم يجد معرة أو عيباً في معاناته الشعر ومقاساته إياه ، بل واستكثاره منه ، وكذلك نجد أن علماء عصره ، هم الآخرون ، ممن عني بنظم الشعر وقرضه دون أن توجه لهم تهمة بأن أشعارهم (أشعار علماء) ليس فيها شيء جارٍ عن اسماح وسهولة على نحو ما أصدر ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) حكمه في شعر العلماء[١٢٦] . وهو حكم لا يقوم على استقراء أشعارهم بشكل دقيق والتعرف على جيدها[١٢٧] . .

لقد أعجب القدماء بشاعرية أبي عبد الله وصرّحوا بذلك في غير موضع ، وكنا قد سُقنا تلك الأقوال حين تحدثنا عن حياته وسيرته[١٢٨] .

---

(١٢٤) ق٣٤

(١٢٥) ينظر في خُطبه : نفح الطيب ٤٢٣/٧ ، ٤٢٦ وفي رسائله : ٤٠٦/٧ ، ٤١٧ ، ٤٢٤ ، الذيل والتكملة ١٠٨/٤ ، ١١٤ كذلك ٣٢٧/١/٥ ، ٣٣٤ ، زواهر الفكر (خ) ١٦٩/١ـ ب

(١٢٦) الشعر والشعراء ١٦/١

(١٢٧) ينظر على سبيل المثال أبيات الخليل بن أحمد(الذي عابه ابن قتية)في إنباه الرّواة ٤٣/١

(١٢٨) ينظر ص ٧ من البحث .

ومن دراستنا لأشعاره نجده شاعراً مطبوعاً ، «يسمح بالشعر ويقتدر على القوافي ، ونتبين على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة ، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر»[١٢٩] على نحو ما يحدد ابن قتيبة مفهوم الطبع .

ولا نجد في هذا المفهوم ما يتنافى مع عناية الشاعر بالصيغ والصوغ في أشعاره على نحو ما نرى في عدد من قصائده ومنها داليته التي يستهلها بكلمة (سلام) ويبدو لنا ـ لأول وهلة ـ أنها أدخل في باب التكلف هي وما يماثلها ، ونجده في موضع آخر يقول الشعر على البداهة ، حيث يجد في نفسه رغبة في القول ، أو حين يقترح عليه من ساعته ، وقد نصّ مؤرخو الأدب على ذلك في قصائد عديدة[١٣٠] .

واذا كان ابو عبد الله شاعر المديح النبوي في عصره ، الذي لايجارى ، فأن قصائده جاءت جذعاً متفرعاً من شجرة المديح النبوي بكل خصائصها وسماتها الفنية ، في عناية متناهية بصياغتها ، وأسلوبها، ومعانيها . أفكان المديح النبوي في الاندلس صدى لصنوه في مشرق العالم الاسلامي ـ حيث كثر شعرائه هناك بشكل واضح ـ أم أنه وافق من عوامل الازدهار في الاندلس مثل ماوافق في المشرق؟

إن مما لاشك فيه أن هذا الفن اتصل ـ في شيوعه في المشرق ـ بالأحداث السياسية واقترن بدخول الافرنج ديار الشام ومصر حيث عجزت وسائلهم المادية الضعيفة عن الدفاع ، ورد الغزاة الباغين فالتجأوا الى الله ورسوله[١٣١] . . كأنهم يدفعون غائلة الأعداء بأضعف الايمان ، بالتضرع والدعاء ، كذلك اقترن ازدهار هذا الفن بتهجم الافرنج على الدين

---

(١٢٩) الشعر والشعراء ١/ ٣٤ ، وينظر تاريخ النقد الأدبي ١٠٩

(١٣٠) تنظر قصائده رقم ٢ ، ٤ ، ٨ ، ٢٩ .

(١٣١) مختصر تاريخ العرب٢٨٦ .

الاسلامي ، والرسول عليه الصلاة والسلام ، فانبروا يردون عليهم ويناقشون عقيدتهم[١٣٢] .

ولم يختلف الأمر في الأندلس عن شقيقتها بلاد المشرق لأنها هي الأخرى نالها مانال ، من هجمة الافرنج والاسبان منذ عهد مبكر ، وأحدقت ببلادهم المحن والفتن والغارات والويلات فانتهى بهم الأمر الى اللجوء الى جناب الرسول الكريم ، وحضرته الشريفة المباركة ، فعل من ليس لهم بد ، في تجاوز حالهم الى الأفضل . . . ووجدت عواطفهم ومشاعرهم القوية ، التي تعرف قدر العقيدة الاسلامية ، ومقام الدين ، ومنزلة الرسول الأمين متنفساً ومتفرجاً . . فانداحت عن المواجهة المباشرة باستخدام الأساليب المادية ـ الى التعبير عن حب الرسول (صلى الله عليه وسلم) والاستغاثة به ليدفع عنهم الضير ، وحين اشتدت هجمة الاسبان العنيفة فيما بعد بسقوط غرناطة آخر معقل اسلامي في الأندلس لم يكن بوسعهم مدح الرسول الكريم باللغة العربية لأن ذلك حرم عليهم فجاءت مدائح نبوية باللغة الاسبانية (اللاتينية)![١٣٣] .

واذا نظرنا في قصيدة المديح النبوي عند ابن الجنان ، وجدنا فيها استبطاناً لمفاهيم كثير من الآيات والأحاديث ، يدرجها درجاً ضمن أشعاره مستخدماً الاقتباس الاشاري ، بحيث تختفي للوهلة الأولى خيوطه الذهبية التي يطرز بها نسيجة الشعري لأنها تمتزج باللحمة والسداة ، وهو يمضي على منهج شعراء الاندلس في هذا المجال، المنهج المنبثق من التأثر بالمذهب

---

(١٣٢) الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية ٥١٦

(١٣٣) تاريخ الفكر الاندلسي ٥١٦، تاريخ الموسيقى الاندلسية ٩٣ ، القصيدة المباركة الشريفة (مجلة الرسالة الاسلامية) العدد ١٧٦ سنة ١٩٨٤ ص٩٨.

المالكي[١٣٤] المتمثل في كراهة الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر إقتباساً مباشراً يتجلى ذلك بوضوح في منظومه الشعري وفي قصيدته المباركة الشريفة في كثير من أبياتها[١٣٥].

ومن المفاهيم التي شاعت في شعر المديح النبوي بالمشرق ، فكرة الحقيقة المحمدية[١٣٦] او النور المحمدي وهي تقوم على أساس الاعتقاد بان أول ما خلق الله محمداً ، فأعلمه النبوة وبشر بها ، وقد تسربت هذه الفكرة الى شعراء الاندلس وكان ابن الجنان أحدهم ، فمن ذلك قوله[١٣٧] :

سلام على النور الذي كان كامناً بآدم إذ خرَّ الملائك سُجدّا

واذا انتقلنا من موضوع المديح النبوي الى موضوعات الشاعر الأخرى فإننا نجدها وثيقة الصلة بمفردات حياته اليومية تُنبىء عن معايشة لتفصيلاتها خطوة خطوة على نحو ما ترى المدارس النقدية الحديثة في عدم البعد في موضوعات الشعر عن حياة الشاعر والمجتمع التفصيلية ، ولنا في ذلك أمثلة كثيرة ، وهذه الناحية تنبىء عن صدق التجربة الشعورية لدى الشاعر لأنه كان أبعد الشعراء عن التكلف في شعره ، فأنت لاتواجه شاعراً يمدح الملوك والأمراء ، ويستخذي بقصد العطاء والنوال ، ذلك مايتعذر الوقوف عليه ، وجلّ مايرد في هذا المجال مقرون بأترابه ولداته الذين بادلوه الحب والمودة .

---

(١٣٤) الاتجاه الاسلامي ٤٨١

(١٣٥) تنظر على سبيل المثال ما اقتبسه في القصيدة (٩) من القرآن الكريم (١٣ ، ١٤ ، ٢١ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٣) ومن الحديث الشريف (١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٦٢) .

(١٣٦) التصوف الاسلامي ، زكي مبارك ١/ ٣٢٠ ، الشعر العربي في العراق ـ العبود ـ ٢٧٨ ، وينظر فصول في الشعر ونقده ، د.شوقي ضيف ٣/ ٢٢٩ ـ ٢٥٤ .

(١٣٧) ق. ٩/ ١٨ ، وتنظر ق ٣٨/ ٦

ويتجلى في قصائده مظهر آخر دعا اليه النقد الحديث هو الوحدة الموضوعية في القصيدة الشعرية ، إذ كثيراً ما تأتي القصيدة عنده في موضوع واحد وربما انتقل فيه الى موضوع آخر لصيق الصلة به ، فقد يخرج من موضوع الإلاهيات الى النبويات ، كما ينتقل من شعر الآداب والاخلاق الى شعر الأخويات مهنئاً أو معزياً ، فلا تجد في تنقله بين الموضوعين اضطراباً او نفوراً .

اللغة والأسلوب :

نلاحظ في لغة ابن الجنان الشعرية انه يعتمد على نمطين مختلفين في اسلوب النظم هما :

١ ـ لغة سهلة ميسورة ، وأسلوب تقريريّ يعتمد لغة التخاطب القريبة من لغة النثر منها الى اللغة الشعرية ، وكأنه بذلك يريد أن يقرب أشعاره إلى أكبر عدد من الناس الذين يتفاوت مستواهم الثقافي[١٣٨] لاسيما في مجال أشعاره في المديح النبوي وهي سمة ملاحظة على شعر الزهد بشكل عام ، ولدينا أمثلة على ذلك كثيرة ، فمن ذلك قوله[١٣٩] :

يـــا من تقـــدّس عن أن يُحيط وصفٌ بـــذاتِـــه
و من تعـــالى جَـــلالاً عن مُشبـــهٍ في صفـــاتـــه
و من قبـــولِ ثنـــائي إليـــه أسنى هِبـــاتـــهِ

او من مثل قوله[١٤٠] :

يـــا ربّ بلّغ سَـــلامي لأحمـــدَ ذي الشَّفـــاعـــهْ
لخـــاتم الـــرّسـل أعني إمـــام تلكَ الجـــماعـــةْ

---

(١٣٨) المديح النبوي ٤٧٦ ، القصيدة المباركة ١١٧
(١٣٩) ق٥/١ ـ ٣
(١٤٠) ق ٣/١ ـ ٤.

وتتجلى هذه الظاهرة بشكل أوضح في قصائده التي كان يرتجلها وقد تقدمت الاشارة الى بعضها آنفاً .

٢ ـ لغة جزلة متينة الألفاظ ، وأسلوب متماسك التراكيب ، يعتمد فنون البلاغة لاسيما البديع كالجناس ، والطباق ، والمقابلة ، والتكرار ، ولزوم مالايلزم ، ومحبوك الطرفين ، ورد الاعجاز على الصدور ، وما الى ذلك ، ومن أمثلة فنون البديع ماجاء في الجناس في أبياته التي يقول فيها[١٤١] :

تذكرن ذكرى او تهيج اللواعجا ... فعالجن أشجانا يكاثرن عالجا
لهن من الاشواق حاد فإن ونت ... حداة يرجّعن الحنين أهازجا
تراهم سواماً من سراهم أصبحوا ... رسوماً على تلك الرسوم عوالجا
لهم من منى أسنى المنى ولدى الصفا ... يرجون من اهل الصفاء المناهجا

ويلاحظ ظاهرة التجنيس في أبيات قصيدة أخرى بشكل يدعو الى الاعجاب بثقافة الشاعر فيما ساقه من أمثلةٍ كثيرة وقد استخدم الطباق في بعض أبياتها كما في قصيدته التي مطلعها[١٤٢] :

عيون النهى بين التدبرِ والفكرِ ... جَلَبْنَ الهدى من حيث أدرى ولا أدري

ومنها :

فهمت بمحبوب فهمت كماله ... فلم يلتفتْ الا لحضرته سرّي
له المثل الأعلى فلا نِدَّ مُشْبِهٌ ... ولامثل في فضل تسامى عن الحصر

---

(١٤١) تنظر ق٦/١ ، ٤ ، ٦ ، ٧

(١٤٢) تنظر ق١٦/٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٣
وتنظر امثلة اخرى في قصائد الديوان ق٣٠/٢٣ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٦٠ ، وكذلك ق٦/٩ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ وكذلك ق٤٣/٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ .

قريب مجيب ظاهر وهو باطن وجل جلالا عن حجاب وعن ستر
وصول به نلت الوصولَ الى الفتى وفي وصوله صرَّحت للغير بالهجر

ويستخدم الشاعر ضرباً من أضرب الجناس هو «الاشتقاق» أو «التام» في نحو قوله :

ياليت شعري ما الذي هو طالب وياليت شعري عن هواه وعن شعري
معتقةً كم اعتقدت عبدَ غيرها وكم ملكت في ذلك العِتق من حُرِّ
نداؤهم ان مسّ مسٌ من الجوى جوانحهم ، رحماك ياكاشف الضر
يزيدهم حباً لها فيرينهم بما زدا من قبل الكرامة والبر

وما لنا نذهب بعيداً في تتبع ظاهرة الجناس بأنواعه ، ودوننا قصيدته العينية ، فانه فضلا عن تكراره حرف العين في جميع ألفاظها استخدم كلمة (عين) في قوافيها أجمع ، وفي ذلك تتمثل ظاهرة الجناس بين أبيات القصيدة ، كل بيت مع الذي يليه ، إذ إن هذه «الكلمة» ذات معانٍ كثيرة ، وهي في كل مرة ترد بمعنى مختلف ومطلع قصيدته[١٤٣] :

أتعتبني عمادي عمد عين وعين العذر تعرفه كعيني

ومن الظواهر الواضحة[١٤٤] في لغة ابن الجنان ظاهرة التكرار ، وذلك بأن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف او المدح او الذم او التهويل

---

(١٤٣) ق٤٦/١ ـ ٢٠

(١٤٤) أقدم من اعتمد التكرار في نظم الشعر الشاعر الجاهلي الحارث بن عباد في قصيدته التي يرثي فيها ابن اخيه بجير وعدد أبياتها ست وثلاثون بيتاً مطلعها :

كل شيء مصيره للزوال غير ربي وصالح الأعمال

وفيها يكرر (قربا مربط النعامة مني) أربع عشرة مرة ، و(قرباها) ثلاث مرات ، فيكون المجموع سبع عشرة مرة ، ينظر أخبار المراقسة ص٢٥٩ وأيام العرب في الجاهلية ١٦١.

وقد ورد التكرار في قصيدة لابن هاني الاندلسي (ت٣٦٢هـ) يمدح بها جعفر بن علي وهي في احد عشر بيتاً ومطلعها :

او الوعيد[١٤٥] ، ونرى ان الشاعر في تكراره اراد تأكيد المدح لاسيما في باب التعظيم والتوقير في خطاب الجناب النبوي ، او في خطاب الله عز وجل ،

=أليلتنا إذ ارسلت وارداً وحقا وبتنا نرى الجوزاء في أذنها شنقا

وفيها يكرر (كان) خمس مرات (الذخيرة ٣/١/٥٠٨).

كذلك الصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ) ففي ديوانه قصيدتان : الأولى في أربعة وستين بيتاً جميع أبياتها على صورة حوار، صدر البيت : قالت ،وعجزه : فقلت . وهذا الفن يسمى «رد العجز على الصدر» واما الثانية ففي تسعة واربعين بيتاً جميع أبياتها تبدأ بـ(أنت الذي) (ديوانه رقم٢ ، ٨).

ومن شعراء الاندلس ابو اسحاق الالبيري (ت٤٥٩هـ) له قصيدتان يلتزم فيهما لفظة القافية فيجعلها مرة لفظة الجلالة (الله) واخرى لفظة المهابة (النار) (ديوانه ٦٥ ، ٩٠) مطلع الاولى :

يـا أيهـا المغـترّ بـالـلّه فِـرَّ مـن الـلّه الى الـلّه

ومطلع الثانية :

ويـل لأهـل الـنّـار في الـنّـار مـاذا يُـقـاسـون مـن الـنّـار

وفي كتاب العاقبة (ورقة ٢٩٤) لابن الخراط (ت٥٨١هـ) قصيدة غير منسوبة يحذو فيها الشاعر حذو الالبيري ، فيكرر فيها لفظة (النار) في أبياتها ، وهي في ثلاثة وعشرين بيتاً وفيها تكرار لعبارة (أما سمعت) في تسعة أبيات ومطلعها :

أمـا سمعت بـأهـل النـار في النـار وعن مقـاسـاة مـايلقـون في النـار

ولابي القاسم عبد الرحمن السميلي (ت٥٨١هـ) قصيدة في ثلاثة وأربعين بيتاً عرفت باسم الغارة ، بناها على لفظة الجلالة (الله) (الغارة المباركة مخطوط ورقة ١) ومطلعها :

ياغارةَ اللّه جِدِّي السَّير مسرعةً في حَلِّ عقدتنا يا غارة الله

وممن مضى على هذا النهج ابو بكر بن المرابط (عصري ابن الجنان ومزامنه) في قصيدتين الاولى في اثنين وأربعين بيتاً والثانية في خمسين بيتاً ، التزم بداية أبيات الاولى ، بعبارة (صلى الاله) واما الثانية ، فكرر فيها كلمة (سلام) (زواهر الفكر ورقة١٤٠ ـ ١٤٤) مطلع الاولى :

صـلّى الإلـه عـلى نـبي خـصـه متـأخـراً بـخـصـائص الـتـقـديـم

ومطلع الثاني :

سلام كما مرت على الرّوضة الصّبا فنمّت بمـا أخفت صـدور الكَـمائم

(١٤٥) تحرير التحبير ٣٧٥ ، العمدة ٢/٥٩ ، المثل السائر ٢/١٥٧ ، الايضاح ١/١٩٧ ، الخزانة (لابن حجة) ١٦٤.

وهي ظاهرة تبدو في اكثر من قصيدة واشهر قصائده في هذا الباب قصيدته التي مطلعها[١٤٦] :

سلام على من جاء بالحق والهدى ومن لم يزل بالمعجزات مؤيدا

وهي في مائة واربعين بيتاً التزم كلمة «سلام» في مطلع أبياتها جميعا (وهذه اللفظة ذات دلالتين عميقتين لغوية واصطلاحية ، فهي أسم من اسماء الله الحسنى ، وهي الجنة دار السلام ، ولذلك تحمل (سلام) نكرةً دفئاً . معنوياً ودفقاً من الطمأنينة والاستقرار وتتصل اللفظة بحرف الجر ، يليه اسم موصول (على من) يطّرد هذا في اكثر ابيات القصيدة.[١٤٧]

وفي هذا الاتجاه تأتي قصيدتان أخريان للشاعر ، الأولى في اثنين وعشرين بيتاً ، يلتزم عبارة (صلوا على) في سبعة أبيات منها ومطلعها[١٤٨] :

صلوا على خير البرية خيما وأجل سن حاز الفخار صميما

وفي مخمسته يلتزم عبارة مماثلة هي (صلوا عليه وسلموا تسليما) ويجعلها الشطر الخامس من كل بيت ومطلعها[١٤٩] :

الله زاد محمداً تكريما
وحباه فضلاً من لدنه عظيما
واختصه في المرسلين كريما
ذا رأفة بالمؤمنين رحيما صلّوا عليه وسلّموا تسليما

---

(١٤٦) ق٩

(١٤٧) القصيدة المباركة الشريفة ص١١٦

(١٤٨) ١/٣٧ - ٧

(١٤٩) ق٣٨

وترد هذه العبارة منسجمة مع تفعيلات بحر الكامل ولذلك استخدمها عدد من الشعراء[١٥٠]. ومما يقترن بذكر الله وتمجيده فائيته التي جاءت في مئة وواحد وسبعين بيتاً يكرر في سبعة ابيات من آخر القصيدة فيها عبارة يارب ومطلعها[١٥١].

لا أمنعُ الدمعَ أَنْ يَهمي وأن يكفَا ولا أَزالُ بِربع الحُزن مُعتَكفَا

وتأتي هائيته في واحد وعشرين بيتاً مستهلة بلفظة «لله» ومختومة بها كذلك ومطلعها [١٥٢] :

لله أبعث رغبتي متيقنـــــــاً ألّا يخيب راغب لله

وهذا الضرب من النظم يطلق عليه البلاغون (رد الاعجاز على الصدور) والمقصود به أن يجعل أحد اللفظين المكررين او المتجانسين في آخر البيت والآخر إما في صدر المصراع الاول ، أو صدر المصراع الثاني[١٥٣]

وفي اتجاه التكرار في الالفاظ والحروف تتميز قصيدة للشاعر من عشرين بيتاً التزم لفظة عين في قوافي أبياتها جميعاً على سبيل الجناس ، كذلك التزم في الفاظ أبياتها حرف العين ، وأشرنا اليها آنفاً[١٥٤] .

وكذلك تأتي داليته حيث يلتزم في أبياتها الخمسة حرف العين ومطلعها : [١٥٥]

يـــاظَاعنّـاً عنا ظَعنتَ بعصمـةٍ ورَجعت معتمـــداً بعزٍ صـاعد

---

(١٥٠) المديح النبوي ص٤٩٤

(١٥١) ق٢٧

(١٥٢) ق٥٢

(١٥٣) جواهر البلاغة ٤٠٨

(١٥٤) ق٤٦

(١٥٥) ق١٥

وفي مجال تكرار الحروف نلقى للشاعر قصيدة كافية طويلة النفس في رثاء شيخة يعتمد فيها على تكرار (من) الاسم الموصول في اثنى عشر بيتاً ثم يكرر حرف الجر (من) في ثلاثة أبيات ومطلع القصيدة[١٥٦] :

دعوني وتسكاب الدموع السوافك فدعوى جميل الصبر دعوة آفك

ولايفتأ الشاعر عن نزعته المتشبثة بالتكرار في قصائد اخرى يتعمد تكرار الألفاظ فيها في البيت الواحد من مثل قوله في وصف الذات الإلاهية[١٥٧]

تنزه عن ادراك ، ادراك واصف فللعجز في الادراك يجري الذي يجري
له الكل مني بل هو الكل وحده فما أنا؟ لا أدري ، حري ولا أدري
فيا ليت شعري ما الذي هو طالب وياليت شعري عن هواه وعن شعري

ومما يتصل بتكرار الحروف ظاهرة معروفة في الشعر العربي ، هي لزوم مالايلزم فقد جاء ذلك في قصيدته الجيمية التي جاءت في ثلاثة عشر بيتاً التزم فيها حرف الراء قبل الروي ومطلعها[١٥٨] :

اذا ما علا يأسي يغالب لي الرجا ويحجب من ريا الرضا ما تأرجا

ومن فنونه البلاغية مايسمى في علم البديع بـ(محبوك الطرفين) وذلك أن يجعل أبيات القصيدة مبتدأة ومختتمة بحرف واحد من حروف المعجم فمن ذلك قصيدته التي إلتزم فيها حرف الشين في عشرين بيتاً ، ومطلعها[١٥٩] :

شغفت منها بمن حل الشغاف ومن بين الحشا وسواد القلب يفترش

ولنا أن نتوقف عند بناء القصيدة لدى الشاعر بعد أن درسنا

---

(١٥٦) ق. ٣٠

(١٥٧) ق١٦/٩ ، ١٦ ، ١٨

(١٥٨) ق٧ ،

(١٥٩) ق١٨

موضوعاتها ومعانيها وفنونها ، يشير الدكتور ناظم رشيد إلى أن قصيدة المديح النبوي ذهبت مذهبين[١٦٠] :

١ ـ ابتداء القصائد بالغزل بالمؤنث وأحياناً بالمذكر.

٢ ـ ذكر أماكن الحجاز والتشبيب بها.

ويبدو أن المديح النبوي عند شاعرنا خالف المذهبين المذكورين ، وشرع طريقة خاصة به ومنهجاً مختلفاً عن صنوه ، وهو بذلك على درجة من النقاء والصفاء ، بعيداً عن التأثيرات المشرقية ، اذ لم يكن استهلال باي الضربين في قصائد ابن الجنان . . . وجاءت قصائده محافظةً على وحدتها الموضوعية . . .

تتفاوت القصيدة عند الشاعر في تعداد أبياتها بين المقطعات[١٦١] والمطولات فمن الدراسة الاحصائية لقصائده الاربع والخمسين نجد سبع وعشرين نصاً جاء في باب المقطعات اي حوالي نصف قصائد الديوان ، وجاءت سبعة عشرة قصيدة تتراوح أبياتها بين أحد عشر الى ثلاثين بيتاً ، بنسبة ٣١٪ ، اما بقية قصائده فهي مطولات تجاوزت الثلاثين ، وكانت أطولها كافيته في ١٧١ بيتاً والجدول التالي يوضح هذا الموضوع :

نوع النص	عدد أبياته	عدد النصوص	النسب المئوية
مقطعات	١ ـ ١٠	٢٧	٥٠,٥٪
قصائد	١١ ـ ٣٠	١٧	٣١٪
مطولات	٣١ ـ ١٧١	١٠	١٨,٥

(١٦٠) المدائح النبوية في عصر الحروب الصليبية ، بحث في كلية آداب الرائدين ص٤٤٣ ، ٤٣٦.

(١٦١) اختلف في تحديد أبيات المقطعة فمنهم من جعلها في سبعة ومنهم من جعلها عشرة (العمدة ١/١٨٨).

وقد لاحظنا صلة بين عدد الابيات وموضوع القصيدة حيث يميل الشاعر في شعر الإلاهيات وبعض النبويات والمناسبات والشعر المرتجل الى المقطعات بينما تأتي قصائده في الرثاء وشعر المجاوبات طويل النفس .

ومما يتصل ببناء القصيدة عند ابن الجنان ، نجد ضروباً من التفنن في قصائده ، فهو يعمد بأن يجعل قصيدته تذييلاً لبيت المتنبي الذي يعتمد فن (محبوك الطرفين) وهو :[١٦٢]

شمس يلوح لها وجهٌ تروق به
ما شأنه كلف فيه ولا نمشُ

كذلك يروق له أن يذيل بيتين نظمهما ابو الفرج بن الجوزي كان قد نظمها ارتجالاً ، بمقطعة من خمسة أبيات[١٦٣] .

ويسلس القياد لشاعريته في باب المعارضات ، فيعارض بعض شعراء عصره وبعض من تقدم عليه ، وأبرع قصيدة لديه ، جاءت في خمسة وأربعين بيتاً في معارضته رائية علي بن الجهم التي مطلعها[١٦٤] ،

عيون المها بين الرّصافة والجسر
جَلبنَ الهَوى من حيث أدري ولا أدري

كما يعارض مزامنه ابن محرز في قصيدته التي جاءت في عشرين بيتاً ومطلعها :[١٦٥]

بالسّعد أوردَ سَعده لا وانياً لا مشتمل

---

(١٦٢) ينظر هامش القصيدة (١٨) .
(١٦٣) ينظر هامش القصيدة (٤٥) .
(١٦٤) ينظر هامش القصيدة (١٦) .
(١٦٥) ينظر هامش القصيدة (٣١) .

بقصيدة في ثمانية وستين بيتاً :

وفي باب المخمسات ، تأتي قصيدة نبوية واحدة في تسعة وعشرين بيتاً ، لكننا نجهل صاحب الأبيات التي خمسها شاعرنا[١٦٦] . . ونجد للشاعر في انماط القصائد قصيدة تقريظية يقرظ فيها مخمسة لابي العلاء ادريس القرطبي (ت ٦٤٧ هـ)[١٦٧] :

أهـــلاً بكم يـــا أهـــل هـــذا النـــادي
أهـــل أعتقـــاد الـــوعـــد والميعـــاد
أهـــدوا الصـــلاة الى النبي الهـــادي
وصلوا الســـلام لـــه مـــع الابـــاد
يندى نسيماً مذكراً تسنيما

وقد كانت لنا وقفة عند ضرب آخر من قصائده يأتي ضمن موضوع تميز به الشاعر هو شعر الأخويات ، يعرف بشعر المجاوبات ، وهي قصائد تشبه قصائد المعارضات في نزعتها لكننا لاحظنا أن الشاعر لا يلتزم دائماً بعدد الأبيات في القصيدة المجاوبة فأحياناً يأتي جوابه على قصيدة من خمسين بيتاً بخمسة أبيات ، وأحياناً يجيب قصيدة من أربعة عشر بيتاً في ثلاثة وسبعين بيتاً . . . وأحياناً أخرى يتقارب العددان .

واما الأوزان والقوافي ، وهي العنصر الرّئيس في الموسيقى الشعرية ، وكنت عرضت في دراستي للغة الشاعر الى فنون البديع ومنها ، الجناس ، والتكرار بضروبه المختلفة ، ومحبوك الطرفين ، ورد الاعجاز على الصدرو ولزوم ما لا يلزم ، وكلها تعتمد على تكرار حروف او الفاظ باغماط مختلفة . . ولها دور واضح في الموسيقى الداخلية للقصيدة الشعرية . . .

---

(١٦٦) ق رقم ٣٨ .

(١٦٧) ينظر هامش ق (٥٤) .

ومما يكمل الوقوف على الجانب الموسيقي في ديوان ابن الجنان ، الاوزان والقوافي المستخدمة في قصائده ، فمن الدراسة الإحصائية لهذه الأوزان نلاحظ ان الشاعر لم يحقق تنوعاً كبيراً في أوزانه التي استخدمها في الديوان حيث لم يستخدم إلا أقل من نصف بحور الخليل بن أحمد بنسبة ٤٣٪ حيث أفاد من سبعة بحور فقط في مجموع ما نظم ، من مجموع البحور الستة عشر . والبحور المستخدمة هي (الطويل والكامل والبسيط والوافر ، والمجتث والخفيف والمنسرح) فضلاً عن مجزوءات البحور . .

وقد حققت البحور الطويلة الهادئة نسبة راجحة بين البحور التي استخدمها هي (٧٥٪) اذ جاء أربعون نصاً منها في (الطويل والكامل والبسيط والوافر) وكانت اكثر هذه البحور استخداماً هو الطويل والكامل حيث نظم في كل منها أربع عشرة نصاً وهما يؤلفان نسبة ٧٠٪ من البحور الهادئة ونسبة ٥١٪ من مجموع البحور المستخدمة لدى الشاعر يلي هذين البحرين البسيط والوافر .

اما البحور القصيرة والسريعة المضطربة فهي لا تمثل الا ٢٥٪ من بحور الديوان وهي ثلاثة ، المجتث جاءت فيه أربعة نصوص ، وفي الخفيف نصان وفي المنسرح نص واحد ، ومجموع هذه البحور تؤلف نصف البحور القصيرة التي استخدمها الشاعر ، والنصف الآخر استخدم فيه الشاعر مجزوءات البحور ، وهي مجزوء الكامل خمسة نصوص ونصان لكل من مجزوء الوافر ومجزوء الرمل ، وبذلك يتقدم بين الاوزان القصيرة مجزوء الكامل ثم يليه المجتث فالخفيف . . تتجلى هذه النتائج من الجدول التالي:

انواع البحور

البحور الطويلة		البحور القصيرة	
البحر	عدد القصائد	البحر	عدد القصائد
الطويل	١٤	المجتث	٤
الكامل	١٤	الخفيف	٢
البسيط	١٠	المنسرح	١
الوافر	٢	مجزوء الكامل	٥
		مجزوء الوافر	١
		مجزوء الرمل	١

فأما القوافي التي ذلل لها قصائده فقد جاءت موافقة لما هو شائع في الشعر العربي بشكل عام ، فقد رجحت كفة القوافي (الذلل) وهي (م ، د ، ح ، ن) فاجتمع فيها أربع وعشرون نصاً ، واستخدم الى جانبها ستة نصوص في (ء ، ر ، ب ، ي) فتمّتِ الثلاثون ، بحيث الفت قوافي الذلل نسبة ٥٥٪ من مجموع قصائده ، واكثر هذه الحروف استخداماً هو (الميم ثم الدال فالعين) وجاءت أقلَ القوافي استخداماً (الميم والضاد والقاف) استعمل كلا منها في نظم نَصين ، وأقتصر في كلٍ من الحروف (ب ، ت ، ر ، س ، ش ، ف ، ك ، و ، ي) على نص واحد ، ويرى الدكتور الطيب المجذوب ، أن «الفاء» صعبة جداً ، وأن مقطوعات الفاء أجود من طوالها[١٦٨] . ولكننا نرى أن الشاعر نظم فيها ، أطول قصيدة في الديوان في رثاء أبيه في مئة وواحد وسبعين بيتاً وهي من قصائده الجيدة .

---

(١٦٨) المرشد الى أشعار العرب ١/٤٧ - ٤٨ .

ووفق تقسيم ابي العلاء المعري الثلاثي للقوافي «الذلل والنفر والحوش»[١٦٩] نجد الشاعر يستخدم خمس قصائد في (النفر) على قافية (الهاء) وضمن القوافي (الحوش) قافية واحدة هي الشين .

والجدول التالي يوضح أشيع القوافي استخداماً لدى الشاعر

القافية	العدد	القافية	العدد
م	٩	هـ	٥
د	٨	ل ، ن	٤
ع	٦	الهمزة	٣
		ج ، ض ، ت	٢

أما أنواع قوافيه من حيث الحركات ، فقد استخدم الشاعر أربعة منها وأهمل (المتكاوس) وكان في مقدمتها (المتواتر) حيث جاءت فيه ثلاثون قصيدة ، وهي بنسبة ٥٥٪ من قوافيه، تلاها (المتدارك) جاءت فيه اربع عشرة قصيدة بنسبة ٢٥,٩٪ أما أقل القوافي استخداماً فهي المترادف حيث جاءت فيه قصيدتان ويكون استخدامه لها بنسبة ٣,٧٪ ، وهذا الاستخدام طبيعي اذا ما قيس بالشعر العربي .

وبعد فاني أرجو أن اكون قد وفقت في تقديم دراسة وافية عن ديوان ابن الجنان ومن الله نستمد العون والتوفيق والحمد لله اولاً وآخراً .

---

(١٦٩) الجامع في أخبار أبي العلاء ٢/٦٣٥ .

- ابن شهيد الاندلسي حياته وأدبه ، د. حازم عبد الله ، وزارة الاعلام - بغداد ١٩٨٤
- ابو المطرف بن عميرة المخزومي حياته وآثاره د . محمد بن شريفة ط . محمد الخامس ١٩٦٦
- الاتجاه الاسلامي في الشعر الاندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين ، د. منجد مصطفى بهجت ط الرسالة بيروت ٨٦
- الاثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، محمد عبد الله عنان، ط، الخانجي - القاهرة ١٩٦١
- الاحاطة في اخبار ملوك غرناطة ، ابن الخطيب (٧٧٦) ج١ - ٤ تحقيق محمد عبد الله عنان، ط - الخانجي ١٧٣ - ٩٧٧
- الادب الأندلسي في عهد الموحدين د . حكمة الأوسي، ط الخانجي ، القاهرة ١٩٧٦
- الاسس النفسية للابداع الفني د . مصطفى سويف، ط ٣، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩
- الايضاح في شرح التلخيص، القزويني، ط جامعة الازهر، د. ت
- البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، ط مكتبة المعارف بيروت ١٩٧٥
- البيان المغرب في اخبار ملوك الاندلس والمغرب ، ابن عذارى المراكشي تحقيق ميراندا وآخرون، تطوان ١٩٦٠
- تاريخ الادب الاندلسي - عصر الطوائف والمرابطين ، د. إحسان عباس ط٢ دار الثقافة بيروت ٧١ .
- تاريخ الفكر الاندلسي ، بالنثيا، ترجمة د . حسين مؤنس، ط النهضة المصرية، القاهرة ١٩٠٠
- تاريخ الموسيقى الاندلسية، د . عبد الرحمن الحجي، دار الارشاد ، بيروت ١٩٦٩ .

ـ تاريخ النقد الادبي عند العرب ، نقد الشعر، د . احسان عباس، ط٢ دار الثقافة بيروت ١٩٧٨ .
ـ تحرير التحبير ، لابن ابي الإصبع المصري، تحقيق د . حفنى محمد شرف، القاهرة ١٣٥٣
ـ التصوف الاسلامي د . زكي مبارك، ط دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٥٤
ـ الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره ، . د . محمد سليم الجندي، ط المجمع العلمي بدمشق، ١٩٦٢
ـ جذوة الاقتباس ، ابن القاضي (١٠٢٥هـ) ط دار المنصور للطباعة المغرب ١٩٧٤ .
ـ حجة الله على العاملين ، يوسف النبهاني ، مكتبة ايسين ، استانبول ١٩٧٤ .
ـ الحلل السندسية ، شكيب ارسلان، ط دار مكتبة الحياة ـ بيروت د . ت
ـ الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية ، د. أحمد أحمد بدوي، ط نهضة مصر ١٩٥٤ .
ـ خريدة القصر وجريدة العصر ، العماد الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ) حـ١ ـ ٣ قسم المغرب والأندلس . تحقيق آذرتاش اذرتوش والمرزوقي والمطوي والجيلاني بن يحيى، ط الدار التونسية ١٩٧٠ .
ـ الخزانة لابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) دار القاموس الحديث ، مكتبة لبنان د . ت
ـ ديوان ابن الجنان الانصاري الأندلسي جمع وتحقيق ودراسة د . منجد مصطفى بهجت ، معدة للطبع .
ـ ديوان ابي اسحاق الالبيري، تحقيق د . محمد رضوان الداية، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦ .

- الذيل والتكملة ، ابن عبد الملك المراكشي (٧٠٣هـ) السفر الاول بقسمين ، تحقيق محمد بن شريفة السفر ٤ ، ٥ ، ٦ تحقيق د . احسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤ ، ١٩٦٥، ١٩٧٥
- زواهر الفكر وجواهر الفقر ، لابن المرابط (ت ٦٦٣هـ) مصورة مكتبة الاوسكريال رقم ٥١٨
- سعادة الدارين ، يوسف بن اسماعيل النبهاني ط بيروت ١٣١٦ هـ
- الشعر العربي في العراق ، من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد د . عبد الكريم توفيق العبود دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٦
- الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، د . محمد مجيد السعيد ط وزارة الاعلام بغداد ١٩٨٠
- الشعر والشعراء لابن قتيبة .
- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض (ت ٥٤٤) ط المشهد الحسيني القاهرة د . ت .
- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، محمد عبد الله عنان حـ ١ - ٢ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٤ .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، محمد محيي الدين عبد الحميد، حـ١ - ٢، ط ٣ السعادة بمصر ١٩٦٣ .
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، ابو العباس الغبريني (ت ٧٠٤) : تحقيق رابح بونارط، الشركة الوطنية ، الجزائر ١٩٧٠
- فصول في الشعر ونقده ، د . شوقي ضيف ، ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٧٧
- القصيدة المباركة الشريفة د . منجد مصطفى بهجت ، مجلة الرسالة الاسلامية العدد ١٧٦ كانون الاول بغداد ١٩٨٤
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ط عيسى البابي الحلبي القاهرة، د . ت

ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الاثير الموصلي، حـ ١ ـ ٢ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط البابي الحلبي، القاهرة ١٩٣٩
ـ مختصر تاريخ العرب ، سيد أمير على ـ ترجمة عفيف البعلبكي ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦١
ـ المدائح النبوية في عصر الحروب الصليبية د . ناظم رشيد ، مجلة آداب الرافدين، العدد ١٣، جامعة الموصل١٩٨١
ـ المديح النبوي في الشعر الاندلسي، عهد الموحدين، د . منجد مصطفى بهجت ، مجلة آداب الرافدين العدد ١٣ جامعة الموصل ١٩٨١
ـ المرشد الى فهم اشعار العرب، د . عبد الله الطيب المجذوب، ط ٢ ، دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٠
ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ) تحقيق د . احسان عباس بيروت ١٩٦٨ .